

الشؤون المالية لدار الخلافة العباسية فى العصر العباسي الأول
وكيف تأثرت بالعمران والسياسية

(١٣٢-٢٣٢هـ / ٧٤٩-٨٤٨م)

د. طائف كمال الأزهرى

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامى

كلية الآداب جامعة حلوان

لقد تم بحث ودراسة التاريخ السياسى والعسكرى فى العصور العباسية المختلفة بشكل موسع وتفصيلى فى أحيان كثيرة بالعديد من اللغات ورغم ذلك فإن المدقق فى كتاب الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - يجد كثير من المبالغات واللامعقول من حيث الإعداد للجيش، أو النفقات أو حمولة السفن إلى آخره، مما يجعلنا فى أشد الحاجة إلى التدقيق وإعادة النظر فى بعض الجوانب من التاريخ الإسلامى. فعلى سبيل المثال يذكر الطبرى أن حملة الأمويين على القسطنطينية فى عام ٦٦٨م فى عهد معاوية بن أبى سفيان ضمت أسطولاً من ثلاثمائة سفينة كل سفينة تحمل ألف رجل بالطبع لا تملك الدولة الأموية ولا العباسية بعدها جنوداً فى الأسطول يفوق ثلاثمائة ألف رجل بالإضافة طبعاً إلى أن أقصى حمولة لسفينة فى هذا العصر كانت الدرومو وتحمل مائة وخمسين فرد فقط. من هنا علينا أن نراجع ونفحص كثير من المسلمات حتى نصل إلى تصور أدق عن العصر الإسلامى الأول.

هذا البحث يدور فى هذا الفلك أو الإطار، إذ أنه يحاول كما يقول هيو كنىدى كتابة التاريخ العباسى الاجتماعى خاصة أن أستاذة كبار كالأستاذ الدكتور عبد المنعم ماجد فى كتابه "العصر العباسى الأول" حاول تفتيح الآفاق دون التركيز بطبيعة الحال على تفاصيل كثيرة. يحاول هذا البحث معرفة واستكشاف الجوانب المالية لدار الخليفة العباسى من خزينة الرواتب للإقطاعات وأيضاً المصروفات. ومنها يتبين قوة أو ضعف بعض الفترات.

أولاً: خزينة الدولة

اهتم الخلفاء العباسيون بتنمية الموارد المالية في الدول فحاولوا تطوير الزراعة والتجارة والصناعة (١) خاصة وأن موقع العراق الاستراتيجي ساهم في أن تكون من أغنى الدول في أوائل العصر العباسي وقد قاموا بمشروعات عمرانية كثيرة مثل إصلاح الترعة وحفر الآبار والقنوات واستصلاح الأراضي الزراعية وبناء المدن لذا امتلأت خزائن بيوت الأموال في الدولة العباسية بالأموال (٢) ولقد انعكس هذا الرخاء على الحياة الاجتماعية بشكل عام وعلى حياة الخلفاء بشكل خاص فقد ضرب الخلفاء العباسيون أحد أبرز الأمثلة في البذل وإنفاق الأموال (٣) واعتبر الخليفة المنصور المال وسيلة لكسب قلوب العامة وزيادة القوة على العدو فقد خلف لابنه المهدي خزائن تزخر

(١) M. Zaman; Religion and Politics under the early Abbasid, Leiden, Brill, 1997, p. 61.

(٢) على حسن الخربوطلي: المهدي العباسي، دار مصر للطباعة، القاهرة، د. ت.، ص ٦٩؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ٢، الطبعة الرابعة عشر، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٢٢٧.

(٣) مثال ذلك الخليفة ابن العباس السفاح أعطى عبد الله الحسن بن الحسن ألفي ألف درهم وهو أن خليفة وصل بهذا المبلغ. أبو العباسي أحمد بن علي القلقشندي: مآثر الأنباة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٧١.

بالأموال (١) ومع هذا فقد كان المنصور مقتصدًا في نفقاته لدرجة دفعت بعض المؤرخين لوصفه بالبخل (٢).

لكن عهده لم يخلو من أخبار تؤكد إنفاقه بسخاء في مجال العمارة (بغداد - الرصافة) وكذلك الصدقات على أهل الحرمين فضلاً عن أنه كان سخياً في إنفاقه على أبنائه وأهله وأقاربه حتى ذكر أنه لم يعط خليفة قبل المنصور عشرة آلاف درهم فإنه أعطى هذا المبلغ في يوم واحد كل واحد من عمومته (٣).

في بداية العصر العباسي الأول كانت خزينة الدولة وحدة واحدة ينفق منها في كافة المجالات والميادين في الدولة (٤) ثم قسمت الخزينة فأصبحت بيت مال خاص للخليفة تجمع فيه أملاك الخليفة ودخل إقطاعات دار الخلافة وقد يرد إلى بيت المال هذا حصيلة الغرامات القضائية والمصادرات (٥) ويصرف من هذه الخزينة مصروفات دار الخلافة من وراتب الخدم وحرم

(١) جمال الدين ابن الحسن على ظافر بن الحسين الأندلي: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق محمد مسفر الزهراني، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٩٨٨م، ص ١٠٦.
(٢) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وكامل الخراط، ج ٧، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٨٤.

(٣) الذهبي: المصدر السابق، ج ٧، ص ٨٤.

(٤) M. Shaban; Islamic History, Cambridge University Press, 1976, p. 32.

(٥) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: دول الإسلام، ج ١، الطبعة الأولى، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٩٨١م، ص ٨١؛ جمال الدين أبي المحاسن بن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسنين، ج ٢، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٥٦.

الخليفة والنفقات على المطابع وعلوفة الماشية وأرزاق الجلساء والندماء والنفقات على الكسوة بالإضافة إلى نفقات الخليفة الخاصة وتوفير جوائز الخليفة (١) والتخفيف من أعباء بيت المال العام في حالات الأزمات أو عند الضرورة القصوى على أن تسترد الخزينة حقوقها في وقت لاحق (٢).

والقسم الثاني: بيت مال عام الدولة والذي يصب فيه كافة موارد الدولة من الخراج والجزية والزكاة والغنائم والفئ وقد تلحق به مخازن للودائع العينية ومنتجات الدولة والهدايا (٣) ومما يؤكد وجود هذا التقسيم لبيت المال ما ذكره ابن كثير (٤) أن الرشيد خلف من الميراث من الجواهر والأثاث والأمتعة فضلاً عن الضياع ما قيمته مائة ألف ألف دينار وخمسة وثلاثون ألف دينار وكان في بيت المال سبعمائة ألف ألف دينار ونيف. وهذا ما أغفله كنيدي في كتابه عن العصر العباسي (*).

(١) إبراهيم بن محمد البيهقي: المحاسن والمساوي، تحقيق محمد سويد، الطبعة الثانية، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٢٢٣؛ أبي الحسين هلال بن المحسن الصابئي: رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م، ص ٢١-٢٧.

(٢) Cahen; Introduction a l'Histoire du monde musulman medieval, Paris, A. Masionneuve, 1982, p. 90.

(٣) عبد الرحمن بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٣، الطبعة الأولى، دار

الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٩٣؛ Cahen, Op. Cit., p. ٩٠.

(٤) أبي الفداء إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، تحقيق عبد الرحمن اللاذقي ومحمد

غازي، ج ١٠، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٦٥٦.

(*) H. Kennedy; The court of the caliphs, London, 2004.

ويرد إلى بيت المال إيرادات خارج الولايات وكان بعضها كبيراً فقد بلغ خراج مصر في عهد المنصور (١) ألف ألف دينار وثمانون مائة ألف دينار وأربعة وثلاثون ألف وخمس مائة بالإضافة إلى التحف والهدايا (٢) ويرد إليها أيضاً أموال الجزية وهي المال المتفق عليه مع البلاد غير الإسلامية ومنها مثلاً: في عهد الرشيد فرضت الجزية على نفقور إمبراطور البيزنطيين الذي أرسل للدولة الإسلامية الجزية عن رأسه وامراته وخواصه وبلغت خمسين ألف دينار وكان مجموعها من الدولة البيزنطية عامة ثلاثمائة ألف دينار سنوياً (٣) إضافة إلى ما سبق من مصادر بيت المال العام والزكاة والمواريث الحشرية وهي مال من مات وليس له وارث كذلك العشور التي تؤخذ من التجار الأجانب الذين يحملون بضائعهم إلى دار الإسلام (٤) وغيرها من الموارد المالية الأخرى التي يحرص الخلفاء على تنميتها وزيادتها لأن في ذلك قوة للدولة وتأمين ولاء الجند لها وزيادة في هيبتها لدى أعدائها. ويرى الباحث أن هذا الجانب ما يزال يحتاج إلى بحوث أخرى أوسع للكشف عنها.

وكانت تصرف هذه الأموال بأوجه مختلفة مثل: تجهيز الجيوش ورواتب الجند والحملات العسكرية بما في ذلك توفير المعدات والأسلحة

(١) أورد الجهشيارى في كتابة الوزراء والكتاب، ص ٢٨١، بيان مفصل عن خراج جميع الولايات في عهد الرشيد. أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى: كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق إبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى، القاهرة، ١٩٨١م.

(٢) مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج ٣، المثنى، بغداد، د. ت. ص ٢٣٠.

(٣) أبى الفلاح عبد الحى بن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ١، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بغداد، ١٩٧٩م، ص ٣٢٦.

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور وسعد زغلول عبد الحميد وآخرون: دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية، الطبعة الثانية، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦م، ص ٣١١.

وتمويل المشاريع العامة كحفر الترع والقنوات وإقامة الجسور وبناء
البيمارستانات ومنح العلماء والأدباء والنفقات على المسجونين وأسرى
الحرب (١) ومن أهم النفقات التي تصدر عن بيت المال: مال البيعة وهي
المال الذي يدفع عند تولي الخليفة زمام الأمور في الدولة وغالباً ما يدفع إلى
الجند ومنشأ هذا المبدأ هو أن الخلافة في العصر العباسي استمرت وراثية
فعلى العامة المبايعة بدون أخذ المشورة والرأي وكان يعهد بالخلافة لأكثر من
واحد لذا تحصل الفتن والاضطرابات فيعتمد الخليفة على تأليف القلوب حوله
بدفع الأموال إلى من يطلبها وقد كان العباس السفاح أول من أمر بصرف مال
البيعة وذلك على أهل الكوفة وقرر ذلك في خطبة الخلافة (٢).

ولعل طبيعة الخلفاء العباسيين التي تميل إلى السخاء وحب البذل
والإنفاق أحد عوامل إيجاد بيت المال الخاص للخليفة كما ظهر وبشكل جلي
في أواسط العصر العباسي حينما زاد الترف في قصور الخلفاء وكثرت
النفقات فارتفعت رسوم الخلافة فمثلاً بلغت في شهر واحد وفي مجال واحد
من مجالات الترف في المطابخ الخاصة بدار الخلافة قرابة أربعة وأربعين
ألف وسبعين ديناراً وبلغ إنفاق الخليفة من الجوائز والهبات في نفس الشهر
إحدى وعشرين ألف دينار (٣). وإذا ما تذكرنا أن حوالي ٤ دینارات كانت

(١) محمد بك الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الطبعة الأولى، مؤسسة
الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٩٤؛ سعيد عاشور وآخرون، المرجع
السابق، ص ٣١٤، ٣١٥.

(٢) المزيد من التفاصيل حول مال البيعة ومقداره. انظر ضيف الله يحيى الزهراني:
النفقات وإدارتها في الدولة العباسية (١٣٢-٣٣٤هـ/٧٤٩-٩٤٥م)، الطبعة
الأولى، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، ١٩٨٦م، ص ١٤١-١٤٦.

(٣) M. Zaman; Religion and Politics, p. 69.

كافية لإعالة أسرة متوسطة من أربعة أشخاص لمدة شهر كامل، أدركنا مدى البذخ من قبل الخلفاء.

كما أن من العوامل التي دفعت الخلفاء إلى مزيد من البسط في البذل والإنفاق تشجيع المقربون إلى الخليفة من وزراء وندماء على المزيد من البذل ليكون الخليفة قريباً من قلوب الناس ومن جميل ما ذكر في هذا المجال أن الواثق قال يوماً لأحمد بن أبي داود وقد ضجر بكثرة حوائجه (قال أخليت بيوت الأموال بطلباتك للأنذين بك والمتوصلين إليك فقال: يا أمير المؤمنين نتائج شكرها متصل بك وذخائر أجرها مكتوب لك ومالي من ذلك العشق الألسن لخلود المدح فيك فقال الواثق يا أبا عبد الله والله لا منعك ما يزيد في عشقك وتقوى به منتك إذ كانا لنادونك) وأمر لأخرج له ثلاثون ألف دينار يفرقها في الزوار. ونظراً لضيق المكان هنا، يمكن للقارئ الرجوع للمصدر للاستزادة (١).

ويتضح حب الخلفاء للعتاء والإنفاق حتى في الوقت الذي ينقص فيه مخزون بيت المال (٢) ويمكن تصنيف نفقات الخلفاء حسب اتجاهاتها إلى عدة أنواع منها النفقات الاجتماعية وموجهة إلى عامة الناس وأكثر الخلفاء ميلاً إلى ذلك كان الخليفة المهدي (٣) والنفقات الخيرية والصدقات والتي كانت توجه إلى المحتاجين وأهل الحرمين وأكثر من يمثل هذا الاتجاه في الإنفاق

(١) انظر الخير كاملاً في البيهقي: المحاسن والمساوي، ص ٤٢٩.

(٢) حسين إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٦٣.

(٣) مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢٧٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢،

ص ٣٤؛ أحمد شلبي: في قصور الخلفاء العباسيين، مكتبة الأنجلو المصرية،

القاهرة، ١٩٥٤م، ص ٦٢.

كان الخليفة هارون الرشيد (١) والنفقات العسكرية والتي كانت توجه إلى تجهيز الحملات العسكرية وشراء الأسلحة والمعدات وبناء الحصون والثغور وبعدها الخليفة المعتصم أكثر من يمثل هذا الاتجاه من الإنفاق (٢) وتعد النفقات العسكرية من أكثر المجالات التي ينفق عليها الخلفاء نظراً لأن الدولة العباسية كانت في مرحلة تأسيس في هذا العصر لذا فهي بحاجة إلى تكوين جيش قوى للحماية الداخلية والدفاع عن حدودها ولإستكمال الفتوحات الإسلامية كما أن الاضطرابات الداخلية والصراعات مثل الفتنة بين الأمين والمأمون عام ١٩٥هـ/ ٨١٠هـ قد تفرغ خزينة الدولة (٣).

وبنظرة عامة على مقدار ميزانية الدولة في عهود الخلفاء العباسيين نلاحظ أن الميزانية في بداية الدولة كانت ضخمة إذا ما أضيفت لها قيمة الواردات من المتاع والسلع ثم بدأ معدل ميزانية الدولة بالانخفاض بعد أن بلغ حده الأعلى في عهد الرشيد وهذا الانخفاض بدأ يتضح مع بدايات النصف الثاني من القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ولأن التغييرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بنية الدولة والمجتمع أثرت في تحديد ذلك التدهور الاقتصادي (٤) وذكر الثعالبي (١) ما يثبت ذلك فما جمعه السفاح

-
- (١) ابن الفرغ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر، ومصطفى عبد القادر، ج ٨، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٣٢٦؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص ٣٠٩.
- (٢) مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٣٨٥-٣٩٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٧٢٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٣٧.
- (٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٣٣٧؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣، ص ٢٩٣، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص ٣٤٢.

(٤) M. Zaman; Religion and Politics, p. 71.

والمنصور والمهدي والرشيد من الأموال فرقة الأمين وما جمعه المأمون
والمعتصم والواثق فرقة المتوكل.

ثانياً: راتب الخليفة وموظفو دار الخلافة

أ- النظام المتبع فى صرف الرواتب والجرايات (٢)

كانت الدولة العباسية كغيرها من الدول الأخرى قد حددت رواتب
ومخصصات مالية لكافة موظفيها والعاملين لديها فى الميادين المختلفة
وتختلف رواتب العمال باختلاف نوع العمل وسعة صلاحياته وأهميته (٣).

والذى يهمنا فى هذا الجانب هى رواتب الموظفين التابعين لدار الخلافة
والذين يتسلمون رواتبهم بصورة دائمة من بيت المال وتصرف من بيت المال
رواتب الموظفين وفق تخطيط ثابت بصفة مستمرة إما شهرية أو سنوية وكان
العلماء يزدون الرواتب حسب ما يرونه فى الموظفين من قدرة وكفاءة فى
العمل (٤) فمثلاً كان راتب الكاتب فى جميع الدواوين فى عهد المنصور ٤٠

(١) أبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي: لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم نيبارى،

وحسن كامل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١١٨.

(٢) أحياناً تسمى الرواتب عمالة بضم العين والمقصود بها أجره العامل. ابن تغري
بردي: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥١.

(٣) أنور الرفاعى: الإسلام فى حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية
والاجتماعية والاقتصادية والفنية، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م،
ص ١٣٠.

(٤) ضيف الله يحيى الزهرانى: النفقات وإدارتها فى الدولة العباسية (١٣٢-١٣٣٤هـ/٧٤٩-٩٤٥م)، الطبعة الأولى، مكتبة، الطالب الجامعى، مكة، ١٩٨٦م،

ص ٣٦٩.

درهم شهرياً وراتب رئيس الديوان ٣٠٠ درهم شهرياً (١). وإن كان الرقم الأول قليل نسبياً كما يرى الباحث وأن الزهراني لا يذكر نسبة الدينار للدرهم وهي في الأغلب ١٠/١.

ولم تكن الرواتب هي مصدر الدخل الوحيد للموظفين ولكن هناك الصلات والهدايا التي كانت تمنح لهم من الخلفاء والوزراء (٢) إلا أن مثل هذه الصلات والتي تشكل دخلاً إضافياً لموظفي الدولة لها سلبيات عديدة منها ظهور الخيانة في بعضهم فامتدت أيديهم إلى أموال الدولة فعمل البعض على نهب واختلاس الأموال وكان ذلك أحد أسباب ظهور المصادرات والتي تهدف إلى إعادة جميع أموال وممتلكات بعض الموظفين إلى بيت المال ومن هذه المصادرات في عهد المنصور صادر خالد بن برمك (٣) وفي عهد الواثق صادر عدد من الكتاب (٤).

وفي بعض الحالات كان راتب الموظف يصرف إلى أسرته بعد وفاته كما كانت تصرف لهم أرزاق عينية ولم يكن ذلك شائعاً لسكوت المصادر عنه (٥) وكان بعض الوزراء يتدخلون في تحديد رواتب العمال والموظفين (١) خاصة إذا كان للوزير سلطات واسعة في الدولة.

(١) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٣٦٤.

(٢) محمد على بن العمراني: الأبناء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، الطبعة الثانية، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٢م، ص ١١٢؛ ضيف الله الزهراني، المرجع السابق، ص ٣٦٨.

(٣) الذهبي: دول الإسلام، ج ١، ص ٨١.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٣، ص ٣٣٢، ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٣٦٨.

(٥) هناك بعض الحالات في العصر العباسي الثاني. انظر: ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٣٧٠.

ولقد خصص بعض الخلفاء العباسيين إعانات إضافية لكبار الموظفين مثل الوزراء وهى مساعدات مالية كمعونة على بناء المسكن (٢) أو مخصصات يومية لموائد الوزراء وهى حالات نادرة (٣).

وهذه الأنظمة تدل على مدى التطور الذى وصلت إليه الدولة العباسية سواء فى نظامها الإداري أو المالى فراتب الموظف فى الدولة يستلم بصفة دورية إما شهرية أو سنوية وتتدرج قيمة الجرايات والرواتب حسب كفاءة ومركز العامل أو الموظف فنجد أن راتب كبير الكتاب أعلى من راتب الكاتب العادى (٤).

ب- راتب الخليفة (مصرفات ونفقات الخليفة):

يمكن اعتبار هذا المصطلح (راتب الخليفة) مصطلحاً مجازياً لأنه لا يوجد فى العصر العباسي الأول ما يسمى راتب الخليفة إذ أن بيت المال كله كان تحت تصرف الخليفة أما كون الخليفة قد قدر له راتب محدد كأنه موظف

(١) الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص ١٢٦؛ أبى الحسن هلال بن المحسن الصابئى:

تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٤م.

(٢) وهذا يشبه بدل السكن فى وقتنا الحاضر مثال ذلك إعانة الرشيد للفضل بن يحيى

بخمسة وثلاثين ألف درهم معونة على بناء منزله فى بغداد. انظر الجهشيارى:

المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٣) مثال ذلك أمر المأمون بصرف إعانة يومية قيمتها ألف درهم لموائد وزيره أحمد

بن أبى خالد. أبى الفضل أحمد بن طاهر بن طيفور: كتاب بغداد، تحقيق السيد عزت

العتار الحسينى، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١٢٣.

(٤) للوقوف على نماذج من ذلك انظر الجداول المرتبة حسب تدرج الوظائف، ضيف الله

الزهرانى: النفقات وإدارتها، ص ٢٧٤-٢٧٧.

فقد حدث ذلك فى العصر العباسى الثانى حين أقدم البويهيون على الإساءة إلى الخليفة فاعتبروه موظفاً وحددوا له راتباً شهرياً (١).

ويقصد براتب الخليفة ما كان يصرفه على نفسه سواء كان ذلك يومياً أو شهرياً أو سنوياً ويشرف على هذه المصروفات موظف خاص كما يشرف على أراضى وإقطاعات الخليفة (٢) وكان لأبناء الخليفة وأهله أرزاقاً فقد أمر المهدي بأن يخصص لأهل بيته أرزاقاً لكل واحد منهم فى الشهر خمسمائة درهم (٣) ولذلك تم تقسيم بيت المال إلى بيت مال خاص للخليفة ونفقاته الخاصة وبيت عام يصرف منه على أمور ومصالح الدولة.

ويمكن أن نذكر نماذج نفقات بعض الخلفاء اليومية أو الشهرية أو السنوية فالخليفة المنصور والذى اشتهر بميله إلى الاعتدال والاقتصاد فى النفقات كان ينفق فى السنة ألفى درهم (٤) وهذا يعنى أنه ينفق فى اليوم درهمين ونصف تقريباً وتعد نفقة ضئيلة جداً إذا ما قورنت بميزانية الدولة فى عهده والتى تعكس صورة واضحة عن ثراء خزينة الدولة وأما الرشيد فقد بلغ إجمالى نفقاته اليومية عشرة آلاف درهم وبذلك تكون النفقات الشهرية ثلاثمائة ألف درهم والسنوية ثلاثة آلاف وستمائة ألف، (٣,٦٠٠,٠٠٠) درهم (٥).

وهنا يمكن طرح تساؤل عن مدى تطبيق هذه الإشارة فى المصدر على كل عصر الرشيد.

(١) الصابئى: رسوم دار الخلافة، ص ٣٠، ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٢٣٨؛ ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٢٦.

(٤) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٢٧.

(٥) ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ١٥٠.

ويعد عهد الرشيد واسطة العقد للعصر العباسي الأول فالدولة أصبحت من أغنى الدول في ذلك العصر ونفقات الرشيد المتعددة كان دافعها طبيعة الحياة في دار الخلافة بصفة خاصة وفي مجتمع العراق بصفة عامة.

وكان المأمون غير بعيد عن والده في نفقاته اليومية فقد بلغت سنة آلاف دينار^(١) والشهرية مئة وثمانون ألف دينار والسنوية ألفى ألف ومائة وستون ألف دينار (٢,١٦٠,٠٠٠) ولقد كان المأمون يفخر بهذه النفقات ليبرهن على كرمه وسخاءه ونقاءه من البخل^(٢). وهنا يلاحظ تضارب المعلومات في المصادر التي تذكر النفقات تارة بالدينار وأخرى بالدرهم مما يثير اللبس.

وفي المجمل يتضح لنا أن خلفاء العصر العباسي الأول قد عاشوا في رخاء وثراء كبير ازدهرت على أثره الدولة وانعكس ذلك على جميع أوجه النشاط السياسي والاجتماعي أما خلفاء العصر العباسي الثاني فقد واجهوا أزمة مالية بدأت بزيادة النفقات العسكرية على عناصر الجيش وبسبب تكرار الحروب في عهد المعتصم إضافة إلى نقل العاصمة إلى سامراء والإغراق في البناء والتعمير في عهد المتوكل. وإن كنا نرى أن الزهراني يغفل كثير من مراحل الصراع بين الأمين والمأمون وما تبعها من ثورات، أعنفها في مصر والتي أثرت على ذلك الثراء^(٣).

(١) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم الأديباء (أرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ج ٤، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م، ص ٩٤؛ على عبد الرحمن العمرو: أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، الطبعة الأولى، مطابع الدجوى، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٢٣٢.

(٢) كان ذلك عندما وصف أحمد بن يوسف الكاتب المأمون بالبخل لأنه يأمره أن يتبخر بنفس المبخرة والعود التي يتبخر منها، فذكر المأمون مقدار نفقاته ليبرهن على كرمه. انظر الخبر كاملاً، ياقوت: المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٤.

(٣) ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ١٥٢.

ج - راتب الوزراء والكتاب:

إن المخصصات المالية للوزير وراتبه يعد من أكبر رواتب العمال والموظفين في الدولة وذلك لأن بيت المال تحت تصرفهم حتى أن بعض الخلفاء مثل الرشيد قد أعطى وزراءه البرامكة خاتم الخلافة للختم على جميع القرارات ومنها المصروفات المالية^(١) ولم تذكر المصادر^(٢) مقدار معين لراتب الوزير ألا في عهد الهادي حيث رتب لوزيره الربيع بن يونس اثنا عشر ألف ألف درهم وفي عهد المأمون كان راتب وزيره الفضل بن سهل ثلاثة آلاف ألف درهم في السنة^(٣) بالإضافة إلى الرواتب يمنح الوزراء إقطاعات بدل الرواتب وهي أنواع عديدة^(٤) فعندما يتسلم الوزير منصبه يعطى الإقطاع فإذا ما عزل أخذت منه وسلمت للوزير الذي يخلفه في الوزارة^(٥).

ولقد حصل كثير من وزراء الدولة العباسية على إقطاعات واسعة منذ عهد المنصور مثال ذلك إقطاع المنصور لوزيره الربيع بن يونس أراضي

(١) جمال الدين أبي الحسن على ظافر بن الحسين الأزدى: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق محمد مسفر الزهراني، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٩٨٨م، ص ١٤٠؛ أبي الفلاح عبد الحى بن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ١، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، ص ٣١٥.

(٢) لم أجد في المصادر التي بين يدي كما استعنت بكتاب ضيف الله الزهراني، النفقات وإدارتها، ص ٢٧٤-٢٧٩ في إثبات ذلك وقد ضمن المؤلف كتابة قوائم عن رواتب الوزراء وأعطياتهم.

(٣) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٤) أنواع الإقطاعات: إقطاع تملك وإقطاع استغلال. لمعرفة تفاصيل الأنواع. انظر أبي الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق خالد عبد اللطيف، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٣٢٥-٣٣٤.

(٥) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٨٨.

زراعية من قرية بياوري من أعمال بادوريا في بغداد وقد نسبت إلى الربيع^(١) كذلك منح المأمون وزيره الفضل بن سهل فم الصلح شمال واسط كإقطاع للإفادة من واردة^(٢) وكانت إيرادات تلك الإقطاعات كبيرة وبعضها يصل إلى خمسين ألف دينار في السنة وقد تزيد على هذا^(٣) وللحفاظ على هذه الإقطاعات ومتابعة شئونها كان الوزراء يعينون كتاباً مخصوصين لحصرها وإدارتها^(٤).

ولم تكن الرواتب والإقطاعات مصدر الدخل الوحيد للوزراء إنما كان الخلفاء يمنحهم العطايا والهبات والهدايا النفيسة^(٥) ونلاحظ مما سبق أن رواتب الوزراء في العصر العباسي الأول قد وصلت إلى آلاف الآلاف من الدراهم في السنة ثم تدرجت إلى عشرة آلاف درهم في الشهر أما رواتب الوزراء في العصر العباسي الثاني فقد انخفضت بسبب ظهور منصب أمير الأمراء^(٦).

أما رواتب الكتاب فقد كانت محددة منذ عهد المنصور ففي أول الأمر كان راتب الكاتب في جميع الدواوين عشرة دراهم شهرياً ثم ارتفعت إلى أن

(١) ذكر ياقوت في معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٧٦، ٣٧٧ ثلاثة عشر قطعة كلها ببغداد، أقطعها المنصور لوزرائه وقواده وكبار الموظفين. أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

(٢) ياقوت: المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٧٧.

(٣) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٨٨.

(٤) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٩٠.

(٥) محمد بن علي بن الطقطقي: الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ١٨٩٩م، ص ١٦٧؛ أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه، ص ١١٠.

(٦) منصب استحدثه الخليفة الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ) وهو أعلى من الوزير، جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمود رياض الحلبي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٣٤٠؛ فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج ٢، الطبعة الأولى، دار الشرق، الأردن، ١٩٩٨م، ص ٦٢، ٦٣.

وصلت إلى أربعين درهماً شهرياً وأما رئيس الديوان فكان راتبه ثلاثمائة درهم شهرياً^(١) واستمرت الرواتب على هذا المستوى إلى أن ارتفعت في عهد المأمون وأول من دعا إلى الزيادة وزير المأمون الفضل بن سهل^(٢).

د- رواتب طبيب الخليفة:

طبيب الخليفة من أهم وأخطر الوظائف في دار الخلافة نظراً لأنها مرتبطة بصحة الخليفة ولقد ضمت دار الخلافة عدد من الأطباء المهرة استقدمهم الخلفاء من بلدان مختلفة للمعالجة والاستشفاء وقد أكرمهم الخلفاء وحددوا لهم رواتب عالية إضافة إلى العطايا والهبات السخية حتى غدا بعضهم من أصحاب الثروات^(٣) وتمتع الكثير منهم بشهرة علمية واسعة^(٤) ومن أوائل الخلفاء الذين استقدموا أطباء للعمل في دار الخلافة المنصور وهو الطبيب جرجيس بن بختيشوع من جنديسابور^(٥) وقد خصص له المنصور راتب^(٦) ووصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة جوار روميات وعند مغادرته أمر له بعشرة آلاف دينار^(٧).

وفي عهد الرشيد خصص راتب شهري لطبيبه الخاص مقدار ألفي درهم ووصله بعشرين ألف درهم معونة سنوية كما خصص راتب أعلى

(١) الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص ١٢٦؛ ضيف الله الزهرانى: النفقات وإدارتها، ص ٥٦٤؛ محمد بك الخضرى: الدولة العباسية، ص ٨٤.

(٢) الجهشيارى: المصدر السابق، ص ١٢٦. ولم يذكر مقدار الزيادة في عهد المنصور.

(٣) Nagel; Der Muslime Zurich: Artemis, 2 Vols, 1981, p. 79.

(٤) المسعودى: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٥٥؛ ضيف الله الزهرانى: النفقات وإدارتها، ص ٢١٠.

(٥) أبى الفرج غريغوريوس بن هارون بن العبرى: تاريخ مختصر الدول، تحقيق خليل منصور، الطبعة الأولى، دار المسيرة، بيروت، ١٩٩٧م، ص ١١٠.

(٦) لم يعرف مقدار الراتب. ضيف الله الزهرانى: المرجع السابق، ص ٢١١.

(٧) ابن العبرى: المصدر السابق، ص ١١٠.

لطبيب آخر أكثر شهرة وأمر من سابقة^(١) يقدر باثنتي عشر ألف درهم ووصلة بصلات كثيرة وقد خصص المأمون لطبيبه الخاص^(٢) ألف درهم شهرياً إلا أنه خفض هذا الراتب لأنه ارتكب خطأ بحق الخليفة وهو إخباره بموعد نوم الخليفة فأصبح راتبه مائة وخمسون درهم ثم عزله^(٣) وعندما عين المأمون طبيباً ماهراً مشهوراً^(٤) أمر بصرف عشرة آلاف درهم شهرياً فضلاً عن الصلات والهدايا التي يمنحها له الخليفة في مناسبات مختلفة^(٥).

ومن خلال تتبعنا لرواتب الأطباء يتبين لنا مدى الاهتمام الكبير الذى خص به الأطباء نتيجة إنجازاتهم ذات العلاقة المباشرة بالخلفاء^(٦) وعلى الرغم من قلة المعلومات عن رواتب الأطباء عند باقى الخلفاء إلا أن هذا القليل يعكس المستوى الكبير عن مدى اهتمام الخلفاء برفع رواتب الأطباء ومنحهم الهبات والعطايا والصلات.

هـ - راتب مؤدب أبناء الخليفة:

لم تكن مهمة تعليم أبناء الخليفة أقل أهمية من طبيب الخلفاء ذلك أن الطبيب يعالج البدن والمؤدب يعالج العقل والروح وتعد وظيفة المؤدب أو المربي فى دار الخلافة من المهام المرموقة فقد كان الخلفاء يختارون بها من خيرة رجال العلم والأدب لأنه لم تقتصر مهمته على تعليم القراءة والكتابة والحساب بل يرتقى بهم إلى تعلم القرآن والحديث والفقه واللغة والنحو ثم

(١) مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٣١٦؛ ابن العبري: المصدر السابق، ص ١١٥.

(٢) جمال الدين أبى الحسن على بن القاضى يوسف القفطى: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار، بيروت، د.ت. ص ١٦٦.

(٣) القفطى: المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٤) جبرائيل بن بحتيشوع طبيب وإدلة الرشيد.

(٥) القفطى: المصدر السابق، ص ٩٩.

(٦) ضيف الله الزهرائى: النفقات وإدارتها، ص ٩٩.

قواعد ورسوم الملوك بل تعدى بهم الأمر فى تعليمهم الالتزام بمنع الضحك إلا فى وقته وشغل أوقات الفراغ بما يفيد والتعريف بمواقع الكلام وبدئه والتقرب إلى العامة وحسن معاملتهم^(١).

وكان المؤدبون يتقاضون رواتب عالية وأول خليفة عباسى اتخذ لأبناءه مؤدباً هو المهدي^(٢) وقد منح المؤدبين مرتبات سخية وصلات مستمرة كذلك كان الرشيد يمنح مؤدبى أبناءه الهبات والأموال خاصة إذا لاحظ من أبناءه حسن الأدب والسعة فى الثقافة والعلم^(٣) وقد أجرى الرشيد على أحد مؤدبى ولده^(٤) عشرة آلاف درهم شهرياً^(٥) كذلك كان الخليفة المأمون يخصص لمؤدبى أبناءه رواتب وصلات لما يبذلونه من جهد فى تربية أبناءه^(٦).

وبمقارنة راتب الطبيب فى عهد هارون الرشيد براتب المؤدب نجد تقارب كبير بينهما وهذا يؤكد لنا أن مكانة المؤدب لا تقل أهمية عن مكانة الطبيب فى دار الخلافة^(٧).

(١) أبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي: آداب الملوك، تحقيق جليل العطية، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامى، ١٩٩٠م، ص ٢٠٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٢٧٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٦٨٠؛ ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ١٧٦.

(٢) أول مؤدب لأبناء المهدي كان يحيى بن خالد البرمكى ثم الكسائى. ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦٨٠، أبى العباسى شمس الدين أحمد بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج ٣، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م، ص ٢٩٥؛ ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٩٩.

(٣) التنوحي: الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ١٦٤؛ ياقوت: معجم الأدباء، ج ٤، ص ٩٩.

(٤) هو الأصمعى: التنوحي: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦٣.

(٥) التنوحي: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦٥.

(٦) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٧) ولا غرابة فى أن الدول تنفق معظم ميزانيتها على قطاع التعليم والصحة فى وقتنا الحاضر.

ثالثاً: الإقطاعات التابعة لدار الخلافة

أ- الإقطاع:

الإقطاع نظام اقتصادى اجتماعى عرف منذ عصور قديمة وهو ضرب من ضروب تملك الأرض^(١) وكانت القطائع فى أرض العراق مقر الدولة العباسية كل الأراضى المهجورة التى غادرها أصحابها بدون ورثة وكذلك ممتلكات بني أمية^(٢).

ولقد اعترف العباسيون الأراضى ملكت لهم ويحق لهم تملكها إلى من يشاعون من قوادهم ووزرائهم وأبنائهم ونسائهم وخير مثال على ذلك عندما بنى أبو جعفر المنصور بغداد ووزع الأراضى على عماله ووزرائه وأبنائه وكانت تسمى بأسمائهم فالصالحية نسبة إلى صالح بن المنصور والحربية نسبة إلى حرب بن عبد الله البلخي وعيسى باذ نسبة إلى عيسى بن المهدي^(٣) وقد تنتقل ملكية الأراضى إلى عامة الناس حسب نظام الإقطاع إلا أن الأرض المقطعة قد تعود إلى ملكية الدولة بسبب المصادرة أو بسبب خرابها بعد هجرتها^(٤).

(١) الماوردى: الأحكام السلطانية، ص ٣٢٥؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده، ج ١، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربى، بيروت، ص ٢١٢.

(٢) M. A. Shaban; Anew Interpretation, (750-1055 A. D./ 132-448 A. H.), Cambridge University Press, 1986, p. 54.

(٣) أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذرى: فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٩٣.

(٤) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٢١٤.

ب- إقطاعات ضياع دار الخلافة:

تعود ضياع الخلافة أو الضياع السلطانية إلى أراضى الأمويين التى استولى عليها العباسيون وصارت ملكاً لهم فى العراق وفارس وخراسان والشام ومصر^(١) كذلك تعود ضياع الخلافة إلى شراء الخلفاء الأراضى من الناس فغدت ملكاً لهم بعد أن يقبض أهل تلك الأراضى أثمانها^(٢) وكذلك الأراضى التى هجرها أصحابها بسبب عبء الضرائب والأراضى التى مات عنها أصحابها بدون ورثة^(٣) فكل هذه الأراضى تضاف إلى ضياع الخلافة وازدادت أراضى الخلافة عن طريق المصادرة أو الغنائم^(٤) وتعد إقطاعات دار الخلافة من أهم الموارد المالية لدار الخلافة حيث كانت تدر أرباحاً طائلة تقدر بمئات الآلاف من الدراهم^(٥) ولأهمية هذا المورد فقد حرص الخلفاء العباسيون على تنظيم أراضى الخراج وحسن إدارتها لذا فقد عينوا موظف خاص للإشراف على الضياع والإقطاعات التابعة لدار الخلافة وأنشئ لها ديوان لإدارتها سمي ديوان الضياع^(٦).

لم يكن الخلفاء العباسيون ينفردون بملكية هذه الضياع والإقطاعات وحدهم بل أنهم كانوا يقطعونها غيرهم لتحقيق أهداف متعددة منها السياسية

(١) البلاذرى: المصدر السابق، ص ١٥٣؛ عبد العزيز الدورى: العصر العباسى الأول، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦، ص ٢٧٤.

(٢) أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج ٢، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٣٥٨.

(٣) S. M. Shaban, anew interpretation, p. 54.

(٤) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٧١.

(٥) الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص ٢٣٣.

(٦) أبى عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى: مفاتيح العلوم، الطبعة الأولى، مطبعة الشرق، ١٩٢٣م، ص ٤٣؛ حسن أحمد وأحمد إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٧١؛ عبد العزيز الدورى: المرجع السابق، ص ٢٧٤.

والاجتماعية والاقتصادية فالخليفة أبى العباس عندما بنى الهاشمية أقطع قواده وأهل بيته كثير من الأراضى الزراعية فيها^(١) كذلك كان المنصور عندما أقطع قواده أراضى من بغداد يرمى إلى تحقيق أهداف سياسية وهى توطيئ هؤلاء القواد فى العاصمة بغداد كما أنه أقطع أقاربه وأبناءه وعدد من العلماء ضياع داخل بغداد وخارجها وهدفه اجتماعى لتكون بغداد موطن لأبناءه وأسرته وكذلك العلماء لتزدان بهم بغداد ولتكون قبله لطلاب العلم.

ومن الأهداف الاقتصادية للإقطاعات أن تكون بديلاً للرواتب والنفقات التى يستحقها الموظفون لعملهم فى الدولة^(٢).

ج - إقطاعات نساء الخلفاء وأبنائهم

حرص الخلفاء على منح أبنائهم ونسائهم إقطاعات ليوفروا لهم دخلاً مادياً مريحاً وكان الخلفاء الأمويين أيضاً يمتلكون مساحات واسعة من الأراضى الزراعية فى مختلف أرجاء الدول الإسلامية وقد تمت مصادرتها من قبل العباسيين وأعيد توزيعها وكان من أولويات ذلك إعطاء أبنائهم ونسائهم نصيباً وافراً منها مع الأخذ بعين الاعتبار نسائهم وتم منحهن أراضى خاصة بهن وهذا الأمر لم يكن موجوداً عند الأمويين لذا يعد العباسيون من أوائل من استحدث هذا التقليد الذى يسمح للنساء بتملك الأراضى واقتناء الثروة واستثمارها^(٣).

(١) اليعقوبى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٢) حسن أحمد وأحمد إبراهيم: العالم الإسلامى، ص ١٧٥.

(٣) M. Shaban; anew interpretation, p. 54.

ولأن النساء يصعب أن يدرن شئون تلك الضياع فقد مالت نساء الخلفاء لتعيين كاتباً أو وكيلاً يهتم بمصالح إقطاعاتهن ويشرف عليها^(١) كذلك شملت أعطيات الخلفاء لأبنائهم من الأطفال^(٢) وذلك لضمان مستقبلهم.

ونلاحظ أن السياسة التي اتبعتها الخلفاء في توزيع الإقطاعات على أبنائهم وأقاربهم لم تكن عشوائية وقد ذكر اليعقوبي^(٣) أن المنصور عندما بنى العاصمة بغداد أقطع أهل بيته الأطراف ولم يذكر سبب ذلك! ولعل ذلك يعود إلى أن أطراف المدينة مفتوحة أمام من يرغب في التوسع في أملاكه دون أن يجد من يحاسبه.

كما كانت إقطاعات أبناء الخلفاء تتخذ في منحى يختلف عن استغلالها كمورد مالي فقط فقد اتخذها بعضهم مقراً لتشييد قصور ومدن فيها فكثير من المدن تعود لإقطاع منح من الخليفة لابنه فمثلاً عندما منح المنصور ابنه المهدي إقطاعاً شرق الكرخ في بغداد بنى فيه قصره أمام من يرغب في التوسع في أملاكه دون أن يجد من يحاسبه.

كما كانت إقطاعات أبناء الخلفاء تتخذ في منحى يختلف عن استغلالها كمورد مالي فقط فقد اتخذها بعضهم مقراً لتشييد قصور ومدن فيها فكثير من المدن تعود لإقطاع منح من الخليفة لابنه فمثلاً عندما منح المنصور ابنه المهدي إقطاعاً شرق الكرخ في بغداد بنى فيه قصره المعروف بالوضاح^(٤)

(١) الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص ٢٣٣.

(٢) M. Shaban; Op. Cit., p. 55.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٣٧٤.

(٤) يعقوب ليسز: خطط بغداد في العصور العباسية الأولى، ترجمة صالح أحمد العلي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٤م، ص ١٥٨.

كذلك منح المهدي ابنه عيسى إقطاعاً قرب بغداد فعمره وأصبحت بلدة تسمى عيسى باذ^(١).

وقد يتخذ الخلفاء من بعض الإقطاعات مصدر وقف لأبنائه ومواليه وقد يشرك معهم المحتاجين في دخلها^(٢) ويذكر بعض المؤرخين المحدثين^(٣) إن الخلفاء العباسيين قد يسلكون طرقاً غير قانونية لتحويل بعض الأراضي الزراعية إلى ملكية أبنائهم لكن هذا الرأي ربما يحيد عن الحقيقة ذلك أن الخلفاء العباسيين ليسوا بحاجة إلى إتباع تلك الأساليب لأن أراضي الدولة العباسية كلها تحت تصرفهم.

رابعاً: رواتب وإقطاعات الجند:

أ- النفقات العسكرية:

أنفقت الدولة العباسية على تجهيز الحملات العسكرية مبالغ طائلة وقد يصل مقدار الإنفاق على الجيوش إلى نصف ميزانية الدولة في بعض السنوات^(٤) وكان هدف هذه الحملات إما الحفاظ على الأمن والاستقرار أو للجهاد في سبيل الله واستكمال الفتوحات أو لصد العدوان المحتمل على حدود الدولة الإسلامية^(٥).

-
- (١) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٧٢؛ يعقوب ليسز: المرجع السابق، ص ١٧٩.
(٢) عز الدين على بن محمد بن أبي بكر بن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٤٨٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٣، ص ٣٢٢.
(٣) ذكر المؤلف أن الرشيد استغل اسم ابنه الذي لا يزال طفلاً في محاولة لتجنب دفع الضريبة فقد ابتاع أصحاب الأراضي ممتلكاتهم من هذا الطفل بصورة رسمية وظلوا يواصلون زراعتها ويدفعون العشر وفي النهاية أصبحت هذه الأراضي ملكاً لابن الرشيد.

M. Shaban; Anew Interpretation, p. 55.

(٤) Cahen; Introduction, l'histoire, p. 169.

(٥) ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ٣٠٧.

وكان تجهيز الحملات يختلف حسب الأهداف المراد تحقيقها حيث أنها تسير وفق توقيت محدد الأول بصورة مستمرة طوال السنة والثاني على فترات متقطعة.

فأما بالنسبة للهدف الأول وهو الجهاد في سبيل الله ورد العدوان وكان تجهيز الجيوش على نوعين: نظام الصوائف والشواتي وهذا توقيته مستمر طوال أيام السنة لغزو بلاد الروم (١). وإن كان مصطلح الشواتي مصطلح فضفاض في فترته، لأننا نعرف قسوة الشتاء في الأناضول حتى مع الجيوش الحديثة والمعاصرة وتعطيله للعمليات فيها.

والهدف الثاني: حماية حدود الدولة الإسلامية وذلك ببناء وتحصين مدن الثغور وشحنها بالجنود وكان توقيت هذا الهدف أيضاً بصفة مستمرة طوال أيام السنة (٢) أما بالنسبة للحفاظ على الأمن والاستقرار فكان توقيت الحملات فيه على فترات متقطعة سواء كان ذلك في القضاء على الخارجين من أقارب الأسرة العباسية (٣) أو الخارجين على الدولة من الثوار وأصحاب المبادئ الهدامة (٤).

ولقد كان اهتمام خلفاء العصر العباسي الأول بتجهيز الجيوش أكثر من خلفاء العصر العباسي الثاني ويعود ذلك لتفرغ الخلفاء لحركة الجهاد الإسلامي وقلة الحركات الانفصالية داخل الدولة وذلك على النقيض في

(١) محمد أحمد كنعان: تاريخ الدولة العباسية وما رافقها من الممالك، ج ١، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٦٥؛ عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص ١٠٠.

(٢) من أشهر الخلفاء اهتماماً بتحصين الثغور المنصور: انظر عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص ١٠١.

(٣) مثل عبد الله بن علي عم الخليفة المنصور وكذلك العلويين.

(٤) ابن الخوزي: المنتظم، ج ٨، ص ١٧٤؛ الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٤٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٢٩٤.

العصر العباسي الثاني فقد كثرت فيه الدويلات المستقلة وضعف مركز الخلافة مما أشغل الخلفاء عن الاهتمام بالجهاد وتحصين الثغور والتي تعد الدرع الواقى لحدود الدولة الإسلامية^(١).

هذا وقد تحدثت المصادر الإسلامية عن غزوات هارون الرشيد في أيام والده وخلال فترة خلافته وكذلك عن غزوات المعتصم في عهد أخيه المأمون وفي خلافته وقد تبدل الوضع في العصر العباسي الثاني حيث تحولت سياسة الدولة من الهجوم إلى الدفاع بسبب الضعف الذى أصاب الخلفاء وسيطرة العناصر الأجنبية على أجهزتها السياسية والإدارية والعسكرية مما كان سبباً في إرباك شديد في الأوضاع بصفة عامة^(٢).

ومن نماذج النفقات العسكرية^(٣) للخلفاء العباسيين في عهد المنصور أرسل إلى إفريقية جيشاً لحرب الخوارج وكانت نفقة ذلك الجيش ثلاثة وستين ألف ألف درهم^(٤) ويعد عهد المنصور من عهود التأسيس للدولة العباسية لذا فإنه أنفق كثيراً في هذا المجال وقد بذل آلاف الدنانير لإرضاء الجند الخراسانية بعد أن قتل أبى مسلم الخراسانى وكان مقدار ما نثر على الجند سبعين بدرة في كل بدرة عشرة آلاف دينار^(٥).

ولقد أنفق الأمين خزائن الأموال كلها خلال صراعه مع أخيه المأمون حيث دفع لعلي بن عيسى بن ماهان قائده في الحملات الموجهة ضد المأمون ألف ألف دينار ولولده خمسين ألف دينار وألفى سيف محلي وستة آلاف ثوب

(١) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٣٠٨.

(٢) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٣٣٤.

(٣) لمزيد من النماذج انظر: ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٣٣٥-٣٣٧.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ١٧٤.

(٥) ابن العمراني: الأتباء، ص ٦٦.

للخلع سوى الأثاث والكراع كما أنفق مبالغ طائلة على الجند الخراسانيين فى بغداد وبذل خزائن الذهب لهم^(١).

وكان الخليفة المعتصم مولعاً بالقتال ويتقن فى جمع الجيوش وتجهيزها وقد توسع فى استخدام الجند الأتراك حتى كثر عددهم مما اضطره إلى بناء مدينة لهم وهى سامراء واتخذها عاصمة له بدلاً من بغداد^(٢) وقد أنفق المعتصم ومن قبله المأمون قناطر مقنطرة من الذهب والفضة على حرب بابك الخرمي^(٣) وكانت نفقات الجيش فى أيام المعتصم ثلاثين ألف ألف درهم^(٤).

ب - مقدار رواتب الجند:

استخدم لفظ العطاء أو الرزق للتعبير عن مقدار المال الذى يتقاضاه كل واحد من الجند فى مدة معينة مقابل خدمته فى الجيش ويظهر أنه ليس هناك فرق بين الكلمتين لأن أغلب المؤرخين يذكرون دائماً كلمة عطاء مرادفة لكلمة رزق^(٥) وكان الجيش العباسى قد بلغ مئات الألوف من الجند الذين يكونون الجيش النظامى للدولة وكانت رواتبهم تدفع لهم بانتظام وقد أسند ذلك إلى إدارة تتولى رعاية الجند والاهتمام بهم وهى ديوان الجيش حيث يحفظ فيه سجل خاص بأسماء الجند وأوصافهم وأنسابهم ومقدار عطاء كل

(١) الأزدى: الدول المنقطعة، ص ١٤٩؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٣٣٧؛ محمد كنعان: تاريخ الدولة العباسية، ج ١، ص ٩٨.

(٢) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٢٩٢.

(٣) لمعرفة تفاصيل ثورة بابك انظر ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ١١، ص ٦٤-٧٦.

(٤) الذهبى: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٩٤.

(٥) البيهقى: المحاسن والمساوى، ص ٥٠٠؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٣٠٢؛

خالد جاسم الجنابى: تنظيمات الجيش فى العصر العباسى الثانى، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩م، ص ٨٩.

منهم وموعد الصرف ويسمى هذا السجل (الجريدة السوداء) ^(١) ولديوان الجيش جهاز إداري متكامل ومنظم يخضع لعدة مجالس من أهمها:

- مجلس التقدير: وهدفه تحديد مخصصات الجند، وأوقات دفعها إليهم، وإحصاء النفقات الأخرى التى يجرى صرفها على الجيش ويعود تصريف الكثير من الأمور المالية لديوان الجيش عن طريق هذا المجلس ^(٢).

- مجلس الإعطاء والتفرقة: وهدفه الإشراف على عملية توزيع الأرزاق التى يقدرها مجلس التقدير ويقدم قائمة بالمبالغ التى تم صرفها لصاحب ديوان الجند ^(٣) ولذلك التنظيم نتائج جيدة على رواتب الجند ومصروفاتهم حيث اتصف نظام الصرف بالضبط والدقة، يتضح ذلك فى النموذج الذى يعتمد عليه أثناء صرف رواتب ومستحقات الجند فكان يثبت فى هذا النموذج مقدار الجارى واسم الجندي وحليته والفرقة العسكرية التى ينتمى إليها ^(٤) وقد تتفاوت رواتب الجند من ثلاث جهات.

أولاً: حسب تتابع الخلفاء، ثانياً: حسب الفئة التى ينتمى إليها الجندي (إما مشاة أو رجاله - أو فرسان)، ثالثاً: إذا كان فارسي أو خراساني، ولنتتبع هذا التفاوت بشئ من التفصيل.

(١) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص ٤٢، ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ٢٩٣؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٢) للوقوف على بعض المسائل المالية للجند: مثل السلف والتمليط والمقاصة. انظر الخوارزمي: المصدر السابق، ص ٤٣؛ ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٩٤؛ خالد الجاسم: المرجع السابق، ص ٨١.

(٣) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٩٤؛ خالد جاسم: المرجع السابق، ص ٨١.

(٤) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٩٥.

١- حسن تتابع عهود الخلفاء:

إن الخلفاء العباسيين وإن أنفقوا جميعاً على أساس قوة الدولة يعود إلى قوة جيشها إلا أن رواتب وأرزاق الجند تباينت من عهد إلى آخر وأحياناً كانت تزيد أو تنقص في عهد خليفة واحد.

ففي عهد الخليفة السفاح كان راتب الجند ثمانين درهم في الشهر ثم ازداد الأرزاق إلى مئة درهم^(١) ثم انخفضت الرواتب في عهد المنصور وعادت إلى مستوى الثمانين درهم ثم تدنت إلى أن بلغت عشرين درهماً للمشاة وأربعين درهماً للفرسان^(٢) ويبدو أن أواخر عهد المنصور تميز بالاستقرار نوعاً ما لذا لم يضطر إلى زيادة رواتب الجند وقد بدأت رواتب الجند بالارتفاع تدريجياً في عهد المهدي كان عطاء الجند خمسين درهماً ثم زادت عشرة دراهم في عهد الرشيد^(٣).

ونظراً لاشتعال الفتنة بين الأمين والمأمون ولحاجة الطرفين للجيش فقد ارتفعت رواتب الجند وأعطياتهم ووصلت إلى ثمانين درهماً في الشهر للمشاة ومائة وستين درهماً للفرسان^(٤) هذا فضلاً عن الصلات والأموال الإضافية التي تعطى للجنود لتشجيعهم بعد تحقيق النصر أو لغرض تهدئتهم في أوقات شغبهم وثوراتهم^(٥).

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٣٠٢؛ ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٩٦.

(٢) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٩٧.

(٣) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٩٧.

(٤) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٩٨.

(٥) ابن خلدون: العبر، ج ٣، ص ٢٨٨.

ولما سكنت الفتنة وعاد المأمون إلى بغداد استقرت رواتب الجند على ما كانت عليه في عهد المنصور وهى عشرين درهم للمشاة وأربعين درهم للفرسان^(١) وهذا يعود إلى استقرار الأوضاع في عهد المأمون.

وفي عهد المعتصم الذى أحدث تطورات كثيرة فى نظام الجيش وعناصره فقد كانت رواتب الجند متدنية حيث بلغت عشرة دراهم فقط^(٢) ويعود ذلك إلى كثرة الجند فى عهده خاصة الأتراك.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن زيادة الرواتب أو انخفاضها يعود لحالة الدولة فإذا كانت الدولة فى مرحلة تأسيس أو صراعات ارتفعت رواتب ومخصصات الجند للحاجة الملحة للجيش وفى حالة استقرار الدولة وهُدوء أوضاعها تنخفض وبنسب قليلة رواتب الجنود.

٢- حسب الفئة التى ينتمى إليها الجندي:

بالنسبة لرواتب المشاة أو الرجالة فهى أقل من رواتب الفرسان لأن للرجل سهماً واحداً ولل فارس سهمان سهم له وسهم لفرسه^(٣) لذا قللن رواتب الجند المشاة عشرين درهم وراتب الجند الفرسان أربعين درهم وعندما ارتفعت رواتب الجند أعطى المشاة ثمانين درهم والفرسان مئة وستين درهماً^(٤).

(١) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٩٨.

(٢) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٩٩.

(٣) خالد جاسم: تنظيمات الجيش، ص ٨٩.

(٤) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٩٦.

٣- حسب العنصر الذي ينتمى إليه الجند:

إن الجيش العباسي مكون من عدة عناصر أشهرها العرب والفرس لاسيما الخراسانيين وكان للعنصر الفارسي دور كبير في مساعدة العباسيين في تأسيس دولتهم لذلك ارتفعت مكانتهم لدى الخلفاء فرفعت رواتبهم إلى ثمانين درهم شهرياً^(١) ولعل اهتمام الخلفاء بالجند الخراساني وإن كان في ظاهرة يعود لمكافأتهم في قيام الدولة إلا أن العصبية التي كانت تشتعل ناراها بين المجد العربي من حين إلى آخر بين اليمنية والمضرية والتي كانت قد تعرض حياة الخلفاء أنفسهم للخطر^(٢).

كذلك فإن قلق الخلفاء العباسيين من قوة وسطوة الجند الخراسانيين وقوداهم الكبار أيضاً كانت دافعاً للاهتمام بهم ورفع رواتبهم وأوضح دليل على هذا محاكمة أبي مسلم الخراساني والقضاء عليه في عهد المنصور^(٣).

ولقد أدخل المعتصم عنصراً جديداً على الجيش وهو العنصر التركي- فقد رأى أن دولته الواسعة لا بد أن يقوم بحراستها جيش قوى بعيد عن الخصومات والعصبية فاستكثر من الأتراك فولاهم حراسة قصره وأسند إليهم أعلى المناصب وآثرهم على الفرس والعرب.

وفي حالات نادرة كان الخلفاء وبسبب نفاذ الموارد المالية للدولة تدفع رواتب الجنود عيناً بواسطة مكاييل معينة^(٤) وقد يعطى الجند وصلات مالية

(١) M. Shaban, anew interpretation, p. 55.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٣) للوقوف على تفاصيل هذه المحاكمة. انظر أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٧، الطبعة الثالثة، روائع التراث العربي، ١٩٦٦م، ص ٤٧٩-٤٩٤.

(٤) M. Shaban; anew interpretation. حدث ذلك أيام الأمين أثناء حصار بغداد.

أو عينية زائدة على رواتبهم تقديرًا لجهودهم وغالباً ما كانت تصرف في أوقات الأزمات عند تيسير الحملات أو عند حدوث المعارك وكثيراً ما كانت تؤثر في النصر والهزيمة وقد يكون للصلوات العسكرية مردود سيئ على الدولة يتمثل في تثبيط همم الجند والقادة إذ لا يبقى من محفزات الجند للقتال إلا المال وبذلك يصبح هدف الجند الحصول على المنح والهدايا والصلوات بدلاً من القضاء على الخصم والجهاد في سبيل الله^(١).

وبالنسبة لرواتب القادة العسكريين فقد كانت تفوق رواتب الجند ولم تقدم المصادر إيضاح مفصل لمقدارها خاصة في عهود الخلفاء المتقدمين^(٢) وكانت رواتب القواد في عهد المأمون ما يقارب عشرة آلاف درهم كل شهر^(٣) وعلى الرغم من توسع المصادر في ذكر الصلات والمكافآت التي منحها المعتصم لقائده (الأفشين) نظير القضاء على ثورة بابك الخرمي إلا أن الراتب الشهري لم تحدده تلك المصادر.

وكانت تلك الصلات نقدية بلغت عشرين ألف ألف درهم وعينية وهي تاج ووشاحين منظومين بالنورر والجوهر وسوارين^(٤).

ولعل المهمة المكلف بها القائد العسكري عظيمة وثقيلة على من يحملها لهذا حرص الخلفاء على وصل القادة بالأموال والمكافآت إضافة إلى رواتبهم ومخصصاتهم المالية المستمرة.

(١) ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ٣٣٢، ٣٣٣.

(٢) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٣٠٩.

(٣) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٣١٠.

(٤) الأزدی: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٧٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٢، ص ٥١.

ج- مواعيد صرف الرواتب:

من الأمور الضرورية التي تعين على تشجيع الجنود في تأدية دورهم على الوجه الأكمل الانتظام في صرف رواتبهم في أوقاتها المحددة دون تأخير فيرى البعض أن تصرف رواتبهم في وقت معين من السنة إما في أولها أو في وسطها لأن في تأخير صرف الرواتب يحوجهم إلى المداينات فيضعفهم وتقل نسبة العطاء لديهم وقد يؤدي هذا إلى ميلهم إلى الشغب والثورة أو يشتغلوا بالكسب عن وظيفتهم الأساسية^(١).

وكانت مواعيد صرف الرواتب للجند تتم في الغالب أول كل شهر قمري ولأن خزائن الأموال في الدولة العباسية مليئة لذا لم يكن هناك حالات كثيرة من شغب الجند أو ثوراتهم للمطالبة بالأرزاق سوى ما حدث أيام الصراع بين الأمين والمأمون فعندما شغب الجند على الأمين أعطاهم رزق أربعة وعشرين شهراً^(٢).

وفي وقت آخر من أيام الفتنة تأخر الأمين في صرف رواتبهم فطالبوه كتابياً فأمر بإعطائهم أرزاق ثمانية أشهر دفعة واحدة^(٣) ولقد كان بعض الخلفاء يستغلون مواعيد صرف الرواتب لمصالح شخصية ولضمان ولاء الجند لهم أو لأغراض أخرى، فالهادي والذي م يكن محبوباً لدى بعض الجند الخراسانيين في بغداد ولتخوفه من اعتراض بعضهم على خلافته قرر وبصورة عاجلة أن يصرف لجميع أفراد الجيش ببغداد عطاء سنتين هبة مباشرة لهم مما أمن ولائهم له^(٤).

(١) ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ٣١١.

(٢) الأتودي: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٥٠؛ ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٣١٢.

(٣) البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص ٥٠٠.

(٤) M. Shaban, anew Interpretation, p. 66.

د- إقطاعات الجند:

تعد الإقطاعات العسكرية نوع من أنواع الصلات التي يمنحها الخلفاء للجند وقادتهم العسكريين وقد اختلفت الآراء حول منح الخلفاء للإقطاعات بدلاً من الرواتب أو أنها منحة إضافية^(١) ويمكن الجمع بين هذين الرأيين وذلك بأن الخلفاء عندما تكون الأحوال الاقتصادية مستقرة والخزائن مليئة بالأموال خاصة في بداية قيام الدولة العباسية كانت تمنح الإقطاعات للقادة والجنود كمكافآت إضافية على زواتبهم وقد أقطع المنصور عدداً من القواد العسكريين قطائع من أرض بغداد كمكافأة لهم على إنجازاتهم العسكرية^(٢).

أما عندما تتعرض الدولة لأزمة اقتصادية وتعجز عن صرف رواتب الجند فإنها تضطر إلى توزيع الإقطاعات عليهم ليستفيدوا مما تنتجه هذه الأراضي بدلاً من رواتبهم وكان ذلك منتشراً في العصر العباسي الثاني^(٣).

وهناك نوع من الإقطاع والذي يمكن تسميته بالإقطاع العسكري الإداري حيث يمنح للقادة العسكريين في مناطق معينة يمارسون فيها بعض المهام الإدارية ولتغطية نفقاتهم الشخصية وربما تكون وسيلة لإغرائهم بالانتقال إلى مناطقهم الجديدة وقد أعطى المأمون طاهر بن الحسين مثل هذه الإقطاعات في خراسان^(٤).

(١) ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ٣٢٥.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٢٥١.

(٣) عبد العزيز الدوري: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م، ص ٧٣.

(٤) Cahen; Introduction a l'histoire, p. 170; M. Shaban; Anew interpretation, p. 98.

والحقيقة أن توزيع الإقطاعات على الجند كان له سلبيات عديدة ونتج عنها خراب الأرض الزراعية وضعف إنتاجها لأن معظم القادة والجند لم يقيموا في تلك الأراضي كما أدى ذلك إلى هروب الفلاحين من أراضيهم بعد اقتطاعها تحت تأثير عبث الجند واستبداد قادتهم في فرض الضرائب وكان ذلك في أواخر العصر العباسي الأول وفي العصر العباسي الثاني^(١).

وبعد استقرار عام للنفقات العسكرية ورواتب الجند يتضح لنا مدى ما تعانيه خزينة الدولة من تكاليف باهظة في صرف أرزاق الجند الشهرية والتي كانت عالية في بداية قيام الدولة وبالتحديد أيام السفاح ولعل ذلك يعود إلى وفرة الأموال من جهة وحاجة الدولة للجيش في مرحلة التأسيس من جهة أخرى ثم بدأت رواتب الجند بالانخفاض في عهد المنصور لاستقرار الأوضاع ولحرص المنصور على الاقتصاد في صرف الأموال ثم عادت للارتفاع أيام المهدي^(٢) وبمرور الزمن استكثر العباسيون من الجنود الأعاجم لإحداث توازن بين العناصر الموجودة سابقاً إلا أن تعدد العناصر في الجيش كان من عوامل إحداث الشغب والفوضى.

خامساً: مصروفات ونفقات دار الخلافة

كان الخلفاء ينفقون بسخاء وبذخ داخل وخارج دار الخلافة فيصلون الشعراء بصلات كثيرة ويشجعون أهل العلم والثقافة من العلماء والأدباء والفقهاء وقد تنوعت وتعددت مصروفات ونفقات الخلفاء العباسيين بتعدد أهدافها وتعدد الفئات المنفق عليها ولكن هل ينفق الخلفاء من بيت المال العام أم من بيت المال الخاص؟

(١) Zaman; Religion and Politics, p. 81.

(٢) ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ٣٢٢.

من المرجح أن نفقات الخلفاء جميعاً كانت من بيت المال العام باستثناء النفقات الخاصة للخليفة على لباسه وموائده وأهله وأبنائه وكذلك الهدايا والهبات التي اشتهر بها الخلفاء العباسيين وبالنسبة لمن يقوم بصرف الأموال التي يأمر الخليفة بإنفاقها فغالباً هم الوزراء حتى أنهم في كثير من الأحيان يصرفون ما أمر به الخليفة ويزيدون من أموالهم الخاصة على أعطيات الخليفة^(١) وكان بعض الوزراء يسيطرون على الأموال في الخزائن العامة والخاصة دون الخليفة حتى أنه كان يحتاج إلى السير من المال فلا يقدر عليه وهذا ما حدث للرشيد مع البرامكة^(٢).

وكان ذلك في بداية خلافته لذا فإن سيطرتهم على الأموال كان أحد أسباب نكبتهم، وكان بعض الوزراء يتدخلون في مقدار ما يأمر الخليفة بصرفه خاصة إذا صرف المال في مجال الترفيه^(٣) وقد يماطل بعض الوزراء في صرف الأموال حتى يضطر المستفيد إلى الشكوى للخليفة عن تأخر ما صرف له^(٤).

وهذه المواقف من قبل الوزراء ومن يوكله الخليفة بصرف الأموال تعبر عن مدى سيطرة كبار الموظفين على أموال الدولة وإن كان في بعض الأحيان تعد موافقتهم إيجابية لحفظ الأموال نظراً لأن بعض الخلفاء^(٥) ليس لديه ترشيد في الإنفاق فيبذرون في النفقات على وسائل اللهو والترفيه.

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٧٩.

(٢) وهي حالات نادرة في العصر العباسي الأول ولكنها كثيرة في العصر العباسي الثاني، المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٧٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ١٠.

(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٢.

(٥) مثل الأمين. انظر السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

ويمكن تصنيف نفقات الخلفاء العباسيين فى العصر الأول بحسب اتجاهاتها إلى نفقات سياسية ودينية ونفقات اجتماعية وثقافية ونفقات عمرانية ونفقات على الترفيه والتسلية وكان منها ما هو داخل دار الخلافة ومنها ما هو خارجها.

١ - نفقات سياسية:

تعددت مجالات إنفاق الخلفاء السياسية وهى تهدف إلى تحقيق الاستقرار داخل الدولة وخارجها ومن أشهر النفقات السياسية مال البيعة والذى يصرفه الخلفاء بعد مبايعته للخلافة للتودد للعامة وللجند كذلك شراء منصب ولي العهد حيث أن المنصور أغري ابن أخيه عيسى بن موسى بمبلغ عشرة آلاف درهم وثلاثمائة ألف^(١) ونقل ولاية العهد لابنه المهدي وقد عبر المؤرخ ابن الطقطقى^(٢) بلفظة (شراء) لأن عيسى بن موسى لم يكن راضياً عن التنازل عن طيب نفس فحاول المنصور إغرائه بالمال والكسوة حتى اضطر عيسى بن موسى إلى التنازل للمهدي على أن يكون ولياً للعهد بعد المهدي وقد سار المهدي على نهج والده فى محاولة أخذ تنازل من عيسى بن موسى من ولاية العهد فلما أجابه لمطلبه خلع عليه المهدي وأمر له بعشرة آلاف ألف وضحه اقطاعات^(٣).

كما كان الخلفاء ينفقون لتهدئة الأوضاع داخل الدولة فى مناسبات عديدة منها مثلاً بعد أن يتخلص الخليفة من أحد الشخصيات البارزة فى الدولة ولتهدئة اتباعها فعندما قضى المنصور على أبى مسلم الخراسانى فإنه أنفق

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ١٠٥؛ ابن الطقطقى: الفخرى، ص ١٥٥.

(٢) الفخرى: المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٣) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٣٠؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص ٢٤٥.

الأموال لامتناس غضب أأأاعه وحنوده^(١) وبعء الإنفاق فى المبال السىاسى من الأسالىب النالابة فى حل بعض المشاكل السىاسىة فعنءما اءء سوء فهم بىن الهاءى وولى عهءه الرشىء وبعء أن زال هذا الخلاف أمر الهاءى بأن بءل الرشىء الخزائن فىأخذ منها ما ىرىء وعنءها رضى عنه^(٢).

٢ - النفقات الءىنىة:

اشءهر الخلفاء العباسىىن بالإنفاق بسخاء فى وءوه البر والإحسن وكانء نفقاتهم فى هذا المبال مءعءة وىمكن تصنىفها إلى نوعىن النوع الأول: الإنفاق على الحرملن الشرىفىن فى مكة والمءىنة وبذل الأموال لأهلها والنوع الثانى: الصءقات على الفقراء والمءءابىن.

أولاً: النفقات على الحرملن الشرىفىن وأهلها:

لقد أولى الخلفاء العباسىون اءءاماً كبىراً وعناىة خاصة بعمارة الحرملن الشرىفىن فحرصوا على إصلاح الطرق المؤءىة إليها وءجهىزها بما ىءآابه المسافر وعملوا على ءوسىع مساعءها وأمروا بءرمىمها واءءموا بالكعبة المشرفة وكسوءها^(٣) وكان لأهل مكة والمءىنة نصىباً وافراً من عطاىا الخلفاء العباسىىن.

(١) أبى حنىفة أءمء بن ءاوء الءىنورى: الأخبار الطوال، وزارة الثقافة والإرشاء القومى، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٢٨٣.

(٢) ابن كءىر: البءاءة والنهاءة، ج ١٠، ص ٥٨٤.

(٣) ضىف الله الزهرانى: النفقات وإءارءها، ص ٤٢٠.

وفى عام ١٤٠هـ/٧٥٧م حج أبو جعفر المنصور فأعطى أشراف القرشيين ألف دينار لكل واحد منهم ووزع على نساء قریش صحاف الذهب والفضة وكساهم كما أنه أعطى أهل المدينة عطايا وافرة^(١).

كما كان الخليفة المهدي ميالاً للبذل والإنفاق على الحرمين وأهلها فعندما حج عام ١٦٠هـ/٧٧٦م أمر بنزع كسوة الكعبة وكساها كسوة جديدة وأمر بإنشاء رواقان للمسجد الحرام وحمل إليه الأعمدة من الرخام فى البحر ووسع فى مسجد الرسول وأمر بنزع المقصورة التى فى المسجد^(٢) وقسم المهدي فى هذه السنة مالاً عظيماً فى أهل مكة والمدينة وبلغ مجموع ما قسمه ثلاثين ألف درهم وخمسمائة ألف دينار وفرق من الثياب مائة وخمسين ألف ثوب^(٣) ومن الأمور التى لم يسبق إليها المهدي أنه حمل معه الثلج إلى مكة^(٤) وكان الخلفاء يحصرون على الإنفاق على الحرمين وأهلها تقرباً إلى الله ومحاولة لكسب العلويين وتهنئة غضبهم على العباسيين.

واتبع الرشيد سياسة المهدي حيث لم يبخل على أهل الحرمين بالأموال بل أغدق عليهم الأرزاق والصلوات والهدايا كما أجرى العطايا على المهاجرين والأنصار ففي عام ١٨٦هـ/٨٠٢م حج الرشيد وسار بأولاده وأكابر أقاربه فبدأ بالمدينة فأعطى فيها ثلاثة أعطيات أعطى هو عطاء وابنه

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٧، ٢٨.

(٢) مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢٧٢؛ الذهبي: دول الإسلام، ج ١، ص ٨٣؛ ابن

تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٣٦.

(٣) مجهول: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٧٢؛ الذهبي: المصدر السابق، ج ١، ص ٨٣؛

ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦.

(٤) الذهبي: المصدر السابق، ج ١، ص ٨٣.

محمد الأمين عطاء وابنه عبد الله المأمون عطاء ثم سار إلى مكة وأعطى أهلها فبلغ مقدار ما أنفق ألف ألف دينار وخمسون ألف دينار^(١).

وربما كان الرشيد يرمى من وراء اصطحاب أبنائه معه أن يعتادوا على هذه السنة في مستقبلهم وتعد هذه الحجة للرشيد من أشهر حجات الخلفاء في التاريخ العباسي وقد علق عليها ابن تغري بردي^(٢) بقوله: (تلك الحجة لم يحجها خليفة قبله).

وبجانب اهتمام الرشيد وإنفاقه على أهل الحرمين أبدت زوجته السيدة زبيدة اهتماماً بالغاً كذلك بأهل الحرمين فقد عملت على تأسيس موردين لإيصال الماء إلى مكة أولهما حفر عين حنين التي تتبع من جبل طاد^(٣) حيث اشترت الأرض وأجرت الماء في قنوات إلى مكة^(٤) وأما الثاني: فهو عين نعمان التي تتبع من أسفل جبل كرا^(٥) وتصب في قناة في موضع يقال له الأوحر وأمرت بحفر بئر عظيمة تسمى باسمها تقع شرق منى في وادي عرفة^(٦).

ولم تكف السيدة زبيدة بإيصال الماء إلى مكة فقط بل عملت على حفر الآبار والسقايا حول المسجد الحرام وبنت دور السبل وحفرت البرك في منى وعرفات وحفرت آبار في منى على طريق مكة وأوقفت على ذلك ضياعاً بلغ

(١) مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٣٠٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ١٠٩؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص ٣٠٩.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٠٩.

(٣) طاد: قرب طريق وادي السيل المؤدى إلى الطائف. ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ٤٢٥. لم يجد الباحث في المعاجم الجغرافية التي بين يديه تعريف هذا الجبل.

(٤) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٤٢٥.

(٥) كرا: ثنية بين مكة والطائف. ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٢.

(٦) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٤٢٥.

دخلها السنوى ألف دينار^(١) وبلغ مقدار نفقات السيدة زبيدة على سقايها المياه فى مكة ألف ألف وسبعمائة ألف دينار^(٢).

وقد سار باقى الخلفاء العباسيين على هذا النهج فى تفقد أهل الحرمين ووصلهم بالأموال سنوياً وتخصيص اقطاعات تدر دخلاً مالياً لهم حتى أنه فى عهد الواثق عاش أهل الحجاز برغد من العيش وسعة فى الأموال وقد ذكر أنه لم يبق فى مكة والمدينة فى أيامه سائل يطلب حاجة^(٣).

ثانياً: الصدقات على الفقراء والمحتاجين:

عندما بلغ السفاح خبر مقتل عدوه الخليفة الأموي مروان بن محمد عام ١٣٢هـ/٧٤٩م جداً وتصدق بعشرة آلاف دينار^(٤) ولقد طبع الخلفاء العباسيين على الميل إلى التدين والإحسان والإنفاق فى وجوه الخير فقد ذكر السيوطي^(٥) "أن امرأة اعترضت المهدي وقالت يا عصابة رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر فى حاجتى فقال المهدي ما سمعتها من أحد قط! اقضوا حاجتها وأعطوها عشرة آلاف درهم". ولقد كان عهد المهدي كالنهر الجارى فى الإنفاق على المحتاجين وعامة الناس بعد أن كان والده مقتصداً فى النفقات لذا فقد أقبل الناس على باب المهدي يسألونه حوائجهم فينفق ويبذل دون حساب.

ومن أشهر الخلفاء العباسيين وأكثرهم إنفاقاً فى وجوه الخير والإحسان الرشيد فقد ذكر المؤرخون أنه كان يتصدق من صلب ماله فى كل يوم ألف درهم وكان إذا حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة

(١) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٤٢٥.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣١٤.

(٣) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ٤٨٣؛ ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٤٢٧.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٣٠٦.

(٥) تاريخ الخلفاء: ص ٢٤٢.

رجل بالنفقة التامة والكسوة^(١) وقد بكى الرشيد عندما أخبره وزيره أن تكاليف طعامه فى أحد الأيام بلغت أربعمئة ألف درهم لذا أمر بألفى ألف تصرف إلى فقراء الحرمين فى كل حرم ألف ألف صدقة وأمر بألفى ألف يتصدق بها فى جانبى بغداد الغربى والشرقى وبألف ألف يتصدق بها على فقراء الكوفة والبصرة^(٢). وبما أن ابن كثير هو الوحيد الذى يذكر هذا الرقم المبالغ فيه، فنحن مضطرون إلى الأخذ به رغم عدم التصديق التام به.

وكان مجموع ما تصدق به الرشيد فى ذلك اليوم خمسة آلاف ألف درهم (خمسة ملايين) وكان المأمون على سيرة والده فى الإنفاق فى مجال الخير فقد أمر بصرف خمسين ألف درهم وتوزيعها على الفقراء بالبصرة^(٣) كذلك ذكر أحد وزراء المعتصم عنه أنه تصدق ووهب مائة ألف ألف درهم^(٤) كما أمر الوائى بإخراج خمسائة ألف ألف درهم لوزيره ليفرقها فى وجوه الخير والبر والصدقات^(٥).

٢ - النفقات الاجتماعية:

يعنى الباحث بالنفقات الاجتماعية ما ينفقه الخلفاء على المجتمع سواء المجتمع داخل دار الخلافة أو المجتمع خارجها من عامة الناس.

(١) ابن الجوزى: المنتظم، ج ٨، ص ٣٢٦؛ الأردى: أخبار الدول المنقطعة، ص ٣١٣؛ زين الدين عمر بن مظفر بن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج ١، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٢٠١؛ أبى الوليد محب الدين محمد بن الشحنة: روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد محمد مهنى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص ١٤٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٦٥٠.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٠، ص ٢٧٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٥٢٧؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٤١؛

أبو العباس أحمد بن على القلقشندى: مآثر الأنافة فى معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢١٨.

(٥) الأردى: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٨٠.

وأهم فئة في مجتمع دار الخلافة هم أبناء الخلفاء وأهلهم وأقاربهم، وتذكر المصادر معلومات عن الصلات والهدايا ومصاريف الزواج ونفقات الختان ومصاريف التأديب^(١)، من ذلك منح الخليفة المنصور ابنه صالح صلة قدرت بثلاثمائة ألف درهم^(٢) كما منح الرشيد ابنه حمدونه صلة قدرت بألف ألف درهم إضافة إلى إقطاع غلته مائة ألف درهم سنوياً^(٣) كذلك أمر الرشيد لولديه محمد الأمين وعبد الله المأمون بصلات عديدة ففي صغرهما أطلق لهما عشرين ألف دينار^(٤).

كما وصل الأمين بمائتي ألف دينار ووصل المأمون بمائة ألف دينار وقبل وفاة الرشيد منح المأمون صلة قدرها سبعة آلاف ألف درهم لابنة العباس^(٥) كما أن هناك وجه آخر في الإنفاق على الأقارب من الأعمام وأبناء الأعمام من بنى هاشم خاصة من العباسيين وحتى من بنى طالب من العلويين فلقد كان الخلفاء العباسيين يراعونهم باستثناء بعض الخلفاء الذين حدثت في عهدهم ثورات للعلويين وكانوا يفرضون لهم الجرايات ويقدمونهم في مجالسهم ومحافلهم^(٦).

وكانت مخصصات بنى العباس على نوعين: الرواتب المقررة لهم من بيت المال والصلات والهدايا في المناسبات، والخليفة أبو العباس السفاح أول

(١) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ١٧٢.

(٢) ابن الطقطقي: الفخري، ص ١٥٧.

(٣) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ١٧٢.

(٤) ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٠٢.

(٥) ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٠٢.

(٦) من أشد الخلفاء العباسيين عداءً للعلويين المأمون حيث أنه اختار شخصية علوية

(على الرضا) لمبايعته زوجة ابنته بولاية العهد. انظر البيهقي: تاريخ البيهقي،

ج ٢، ص ٤٥٠؛ محمد بن علي الطقطقي: تاريخ الدول الإسلامية: دار صادر،

بيروت، د. ت؛ ص ٢١٧؛ ابن العبراني: الأنباء، ص ٤٥.

من سن قاعدة صرف الأموال لبنى هاشم وقد وقع فى كتاب جماعة من أهل بيته يشكون تأخر أرزاقهم بأمر صرفها^(١).

وعندما قدم على المنصور بنو هاشم من الشام والكوفة والبصرة أجرى عليهم الأرزاق السنوية لكل واحد منهم خمسمائة درهم عدا الملابس والصلات^(٢) كما أعطى المنصور فى يوم واحد كل واحد من عمومته عشرة آلاف ألف كما يروى الذهبى^(٣) وفي رواية الجاحظ^(٤) أنه وصل كل واحد من أبناء عمومته بألف ألف درهم ويعد هذا المبلغ كبيراً بالنسبة إلى طبيعة المنصور الذى عرف باقتصاده الشديد فى الإنفاق ولعل هذا المبلغ إذا أخذنا بالاعتبار أعدادهم لها قد تكون أرزاقهم السنوية المتأخرة^(٥) وقد أوصى المنصور ابنه المهدي بأهل بيته والإحسان إليهم فكانت أول صلة دفعت من بيت المال فى عهد المهدي من نصيب بنى هاشم من العباسيين فقد منح كل واحد منهم ألف ألف درهم وخصص لهم الرواتب الجارية ووزعت عليهم القطائع وكان جارية كل هاشمي فى الشهور خمسمائة درهم واستمر الوضع حتى بعد وفاة المهدي^(٦).

وكان لبنى هاشم فى عهد الرشيد سهم معلوم فى بيت المال يسمى (سهم ذوي القربي) وكان يقسمه بينهم بالعدل كما أنه يغدق عليهم الصلات

(١) ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ١٨١.

(٢) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٨٤.

(٤) أبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ: التاج فى أخبار الملوك، تحقيق عمر

الطباع، دار الأرقم بن أبى الأرقم، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢١٥.

(٥) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٦) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ١٨٣.

والهبات في مناسبات مختلفة^(١) كذلك فقد استمر الأمين على نهج والده في إكرام بني هاشم من أعمامه وأبناء أعمامه^(٢) كما أن المأمون كان كريماً معهم خاصة عندما انتقل من مرو إلى بغداد^(٣).

وأما بالنسبة إلى العلويين فإن الخلفاء العباسيين منحوهم الأموال والصلوات وأول صلة صرفها أبو العباس السفاح للعلويين كانت لعبد الله الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب مقدارها ألفي ألف درهم^(٤) ونظراً لأن العلويين ثاروا في عهد المنصور لذا كانت صلاته لهم بشكل عام ومرتبطة باتجاهات سياسية تتصل بأمن الخلافة ووحدة الدولة لذا فإن الصلات المرتبطة بمثل هذا الهدف تكون كبيرة ولا ريب أن هذا الهدف كان في ذهن أبي العباس وهو يقرر صلة عبد الله عبد المحسن الحسن علي^(٥) وفي عهد المهدي والذي عرف باللين والتسامح تحسنت العلاقة مع العلويين لذا أمر بإخراجهم من السجون وصرف لهم أرزاق دائمة وجوائز^(٦) ولما قدم على المهدي أحد أحفاد علي بن أبي طالب منحه أربعين ألف دينار^(٧) وفي عهد الهادي ثار العلويين لذا قطع عنهم ما يجريه لهم والده المهدي من الأرزاق والأعطيات^(٨) وكان الرشيد سخيّاً مع أبناء عمومته من العلويين فقد منح يحيى

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٢٣٤؛ ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ١٨٥.

(٢) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ١٩٢.

(٣) ابن طيفور: كتاب بغداد، ص ١١٣.

(٤) مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢١٤.

(٥) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ١٩٠.

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٩٤.

(٧) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ٨٧؛ ابن الطقطقي: الفخرى، ص ١٧٣؛ ابن الشحنة: روض المناظر، ص ١٤١.

(٨) اليعقوبي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٤. وفي مناسبة واحدة على حسب اطلاع الباحث منح أحد العلويين مائة ألف ألف درهم. انظر البيهقي: المحاسن والمساوي، ص ٥٣٩.

بن عبد الله العلوي ما مجموعه أربعمئة ألف دينار^(١) وبصفة عامة فإن الرشيد أمر بصرف الأرزاق والصلوات لهم^(٢).

ويعد الخليفة المأمون أكثر الخلفاء تقريباً للعلويين وإكراماً لهم فقد استمرت الجرايات لهم وكان يجرى على محمد بن علي بن موسى العلوي ألف ألف درهم سنوياً^(٣) واستمرت سياسة الرعاية والإنفاق في باقي عهود الخلفاء لكل من بني هاشم وبني طالب.

ولعلنا أشرنا إلى الهدف من الإنفاق على بني طالب من العلويين ويمكن القول بأن الهدف من اهتمام الخلفاء العباسيين بذويهم من بني هاشم وإجراء الأرزاق الشهرية أو السنوية والتي بلغت خمسمئة درهم في الشهر فإنها إذا ما قورنت برواتب الجند في الدولة والتي كان متوسط راتب الجند في الشهر ما بين أربعين إلى ثمانين درهم كما أن متوسط راتب الكاتب من ثلاثين إلى مائة درهم نلاحظ أنها تكشف لنا مدى ارتفاعها ولعل ذلك يرجع إلى أسباب سياسية ومنها صرفهم عن الخلافة ومحاولة تهدئتهم عن القيام أو الاشتراك في ثورات معارضة للخلافة كذلك وفرة الأموال الواردة إلى بيت المال من الأقاليم التابعة للدولة.

ومن مجالات نفقات الخلفاء الاجتماعية أيضاً الإنفاق على حفلات الزواج من المهر والحلي واللباس والنفقات على نساء الخليفة وشراء الجواري^(٤).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٥٩٤.

(٢) ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ١٩٢.

(٣) ذكر الذهبي: دول الإسلام، ج ١، ص ١٠٤، أن مقدار صلة المأمون لعلي بن محمد

خمسون ألف دينار في السنة. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٣١.

(٤) انظر نماذج لذلك ابن العمراني: الأنباء، ص ١٠١؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٧٠٦.

هذا وقد اهتم الخلفاء بالإنفاق على السجناء وخصص المنصور مقدار خاص من المال للنفقة على المسجونين وأمر المهدي كذلك بتخصيص نفقات جارية على أهل السجون واستمرت الجرايات فى عهد الرشيد وكانت تصرف نقدية وعينية واستمرت كذلك حتى عهد الواثق والذى كان إنفاقه على السجناء بصورة منتظمة^(١).

وإذا كان الخلفاء قد اهتموا بالإنفاق على المسجونين فإنهم أعطوا اهتماماً بالغاً لعامة الناس فقد كانوا حريصون على متابعة أخبار الناس ممن تعرضت منازلهم أو مزارعهم أو متاجرهم للتلف والخراب إما بسبب الفيضانات أو الحرائق أو الزلازل أو السرقات وغيرها من ما يجرى على الناس من حوادث الزمن فقد كان الخلفاء يعوضون الناس عن ذلك بالأموال^(٢) وتعد هذه السياسة من أهم الأساليب فى تقريب العامة من الدولة وهى من السياسات التى تسير عليها الدول فى وقتنا الحاضر.

٣ - النفقات الثقافية:

حظى الخلفاء العباسيين منذ نعومة أظافرهم بقدر وافر من العلم والأدب وحسن الخلق وقد انعكس ذلك على شخصياتهم وأفعالهم حيث أنهم أنفقوا بسخاء على العلم لتشجيع العلماء والشعراء والأدباء حتى أن هذا المجال كان من أوسع مجالات الإنفاق داخل دار الخلافة وكانت العلاقة وثيقة بين

(١) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٣٧٧.

(٢) للوقوف على نماذج لذلك. انظر البيهقي: المحاسن والمساوي، ص ٤٧٣، ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٢، ص ٥٦؛ ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٨٦، ٢٨٩، ٤٣٣، ٤٣٤.

ال خليفة والعلماء لأن الخليفة لا يستغنى عنهم في حضور مجالس دار الخلافة للاستزادة من العلم ولأخذ الرأي والمشورة^(١).

ويقسم العلماء الفقهاء في قبول الصلات والأزراق إلى ثلاثة أقسام :

١- قسم يتعففون عن مال الخليفة ويرفضون أن يأخذوه ومنهم الإمام أبي حنيفة.

٢- قسم يقبلون العطاء ويستعينون به في سد حاجات الفقراء والمحتاجين وإعانة من يحتاج إلى معونة من العلماء والفقهاء ومنهم الحسن البصري والإمام مالك بن أنس.

٣- وقسم وسط بين القسمين فهم يقبلون العمل للخلفاء ويأخذون العطاء ويتصدقون به ومنهم الإمام الشافعي^(٢).

ومن نماذج إنفاق الخلفاء وأعطياتهم للعلماء منح الرشيد سفيان بن عيينه مائة ألف^(٣) وكان المأمون من أكثر الخلفاء عطاءً في مجال العلم فقد منح الغراء النحوي عشرة آلاف درهم^(٤) وعندما صحح أحد العلماء نطق حديث شريف وبرر أن الذي لحن الراوي وليس الخليفة أمر له بخمسين ألف درهم^(٥) وكان الواثق حريصاً على الإنفاق في مجال تشجيع العلم والعلماء فقد

(١) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ١٩٤.

(٢) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٢٩٠؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٥١.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ١٧٩.

(٥) الصابئ: رسوم دار الخلافة، ص ٥٧؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج ١، ص ٢٠٧.

منح ابن الأعرابي عشرين ألف درهم^(١) كما أنه أعطى شيخاً رد عليه فى مسألة خلق القرآن ثلاثمائة دينار^(٢).

ومن المجالات الثقافية التى حرص الخلفاء على دعمها والإنفاق عليها مجال الشعر والأدب ويعد الشعر واسطة بين الخليفة والمجتمع وكذلك هو من أهم وسائل الدعاية لدعم مكانة الخليفة وإيصال صورة معبرة عن مكارم أخلاقه وإسهاماته فى خدمة الدولة ورعاية مصالح الناس لذا كانت الأرزاق الجارية والصلات المادية والعينية تصرف للشعراء بانتظام وهى تفوق ما يقدمه الخلفاء للعلماء والفقهاء والأطباء وغيرهم ممن لازم دار الخلافة^(٣).

وقد منح المنصور عدداً من الشعراء وبلغت أكبر صلة للأديب شبه بن عقال التميمي بعد أن مدح المنصور وابنه الصالح منحه ثلاثين ألف درهم وأقل ما وصل به المنصور شاعر ألف درهم كانت للشاعر إبراهيم بن هرمة^(٤).

ويعد المهدي أكثر الخلفاء عطاءً للشعراء ففى مناسبة واحدة منح مجموعة من الشعراء خمسمائة ألف درهم^(٥) والمهدي أول خليفة فتح أبوابه للشعراء وأعلن لبنى العباس أن الشاعر مروان بن أبى حفصة هو شاعرهم المنقطع إليهم والمعادى فيهم وذلك بعد أن قال قصيدته التى مدح فيها العباسيين ومنها:

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٠.

(٢) انظر الخبر كاملاً: الذهبي: دول الإسلام، ج ١، ص ١٠٩.

(٣) ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ٢١٨، ٢١٩. انظر قائمة الشعراء رتبها المؤلف، ص ٢٢٠-٢٣٩.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٥٩٧؛ ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢١٩.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٧٠.

أيادي بنى عباس بيض سوابغ على كل قوم بادئات عوائذ

فهم يعدلون السمك من قبة الهدى كما يعدل البيت الحرام القواعد

وقد منح الشاعر ثمانين ألف درهم^(١) وأقل ما وصل به المهدي شاعراً
ثلاثة آلاف درهم وقد أعطى الشاعر ابن الخياط المكي خمسين ألف درهم.

وكان الهادي كريماً وقد كانت أكبر منحة مالية أعطاها خليفة عباسي
لشاعر واحد هو الهادي فقد منح الشاعر سلم الخاسر ثلاثمائة ألف درهم وذلك
عندما قال قصيدته التي امتدح فيها الهادي ومنها:

لولا هداكم وفضل أولكم لم تدر ما أصل دينها العرب^(٢)

وقد أعطى نفس الشاعر مائة ألف درهم بعد قصيدة له في مدح
الهادي^(٣) ومنح الشاعر مروان بن أبي حفصة مائة وثلاثين ألف درهم^(٤) أما
الخليفة الرشيد فقد كان قصره مفتوحاً للجميع وقد كان يتذوق الشعر ويقول له
وإذا أعجب بالقصيدة فإنه يمتدحها بكلام أحسن منها وكانت أول جائزة منحها
بعد تولى الخلافة لإبراهيم الموصلي حيث أمر له بمائة ألف درهم^(٥) وعندما
مدحه الشاعر إسحاق الموصلي بقصيدة قال: "لله درك والله در أبيات تجئ بها!
ما أحكم أصولها وأحسن فصولها وأقل فضولها" ثم قال: "أعطوا أبا محمد مائة

(١) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢١٠.

(٢) الجهشيري: الوزراء والكتاب، ص ١٧٣.

(٣) ابن العبراني: الأنباء، ص ٧٤. ويذكر المؤلف أن الهادي أول خليفة عباسي وصل
شاعر بهذا المبلغ في حين أن المهدي قد وصل الشاعر مروان بن أبي حفصة
بنفس المبلغ كما يروى ابن العماد: شذرات الذهب، ج ١، ص ٢٢٣.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٧،
ص ٤٤٢.

(٥) أبي الفرج على بن الحسين بن محمد الأصفهاني: الأغاني، تحقيق عيد علي، ج ٥،
الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٥٣؛ السيوطي: تاريخ
الحلفاء، ص ٢٥٩.

ألف درهم فقال إسحاق: يا أمير المؤمنين يحرم على أخذ الجائزة قال: ولم؟ قال إسحاق: لأنك مدحتني بأكثر مما مدحتك فكيف يحل لي أخذ الجائزة؟ وكلامك والله أحسن من شعري فقال الرشيد وهذا الكلام والله منك أحسن من شعرك ومدحى لك أعطوه مائة ألف أخرى^(١) وكان الأصمعي حاضراً فوهب له الرشيد مائتي ألف درهم^(٢) وتعد هذه الصلة أكبر مبلغ وصل به الرشيد شاعراً وأما أقل صلة فألف دينار وهبها لأبى العتاهية^(٣) والمصادر الإسلامية مليئة بنماذج عطاء الرشيد وصلاته للشعراء^(٤) وكان باقى خلفاء العصر العباسى الأول على سيرة من سبقهم فى استقبال الشعراء وإكرامهم^(٥) ومن الأمور التى لم يسبق إليها خلفاء فى هذا المجال أن المعتصم عندما امتدحه الشاعر أبو تمام الطائى بقصيدته المشهورة التى يقول فى مطلعها:

السيف أصدق أنباءً من الكتب فى حد الحد بين الجد واللعب

منحه اثنين وسبعين ألف درهم عن كل بيت ألف درهم وأقطع هذا الشاعر مدينة الموصل ويعبر الأزدي^(٦) عن هذا الخبر بقوله: (هذا شئ لم يتقدمه فيه أحد من الأوائل) ومن خلال ما سبق عرضه لمنح الخلفاء للشعراء يتضح لنا تباين فى تلك المنح والأعطيات ويعود ذلك إلى مدى إعجاب الخلفاء بالقصائد ومناسبتها كذلك فإن العصر العباسى الأول يعد من الفترات التى

(١) ابن العمرانى: المصدر السابق، ص ٧٧؛ السيوطى: المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٢) ابن العمرانى: المصدر السابق، ص ٧٧.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٦٥٢.

(٤) الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ١١٤، ابن العمرانى: المصدر السابق، ص ٧٦؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٩١.

(٥) ابن طيفور: كتاب بغداد، ص ٥٣، ٥٣؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٢٠٤،

٢٠٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣١٦؛ ابن تغري بردي: النجوم

الزاهرة، ج ٢، ص ١٨٩، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٢٩٩.

(٦) أخبار الدول المنقطعة، ص ١٧١.

ازدهرت فيها الحركة الأدبية وخاصة الشعر وقد قرب الخلفاء الشعراء وأكرمهم بالأموال والهدايا فنمت فنون الشعر واتسعت مواضيعها وظهر كثير من أعلام الشعراء مثل بشار بن برد وأبي نواس وأبي العتاهية ومنهم من خصص شعره لمدح الخلفاء مثل مروان بن أبي حفصة وسلم الخاسر وغيرهم^(١) ونلاحظ أن أكثر خليفتين إنفاقاً في مجال الشعر والأدب هما المهدي والرشيد وأن أكبر مبلغ أعطى للشاعر سلم الخاسر وهبه الهادي ثلاثمائة ألف درهم وأقل مبلغ وصل به الشاعر أبي العتاهية وهبه له الرشيد.

٥ - نفقات عمرانية:

اهتم الخلفاء العباسيون بالعمارة وأنفقوا عليها جزءاً كبيراً من خزائن الأموال وقد تنوعت هذه المرافق العمرانية ما بين المدن والحصون والقصور والجوامع ولعل أبرز أنواع العمارة التي أنفق عليها خلفاء العصر الأول المدن والقصور وأشهر المدن التي عمرت في هذا العصر حاضرة الخلافة العباسية مدينة بغداد والتي بناها المنصور وقد أنفق على بناء المدينة والجامع قصر الذهب والأبواب والأسوار بثمانية عشر ألف ألف درهم^(٢) كما بنيت الرصافة في عهد المنصور شرق بغداد لتكون مقراً لولى عهده المهدي وقد أنفق على بنائها خمسين ألف ألف درهم^(٣) وقد أنفق المهدي على بناء قصر السلام في عيسى باز خمسين ألف ألف درهم^(٤).

(١) ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ٢٤٥.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٩٠، ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ٨، ص ٧٤، ٧٥؛ مجهول: العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢٥٧؛ ابن الطقطقي: الفخرى، ص ١٤٥.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٣٧؛ ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ٤٠٣.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٧٠؛ ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٤٠٣.

وقد اشتهر الأميين بالإنفاق الواسع فى مجال العمارة حيث بنى قصوراً كثيرة ومجالس ومنتزهات وأقام حولها البساتين وكان مجموع ما أنفقه فى بناء قصوره عشرين ألف ألف درهم^(١) وعندما أراد المعتصم بناء مدينة سامراء اشترى الأرض التى أقام عليها البناء بخمسمائة ألف دينار وأنفق على بناء جامعها خمسمائة ألف دينار وأما بناء المدينة فقد بلغت تكلفته خمسمائة وخمسة آلاف درهم^(٢).

كما أنفق الخلفاء على بناء البيمارستانات ودور للمجنومين والعجزة وكذلك بناء المدن العسكرية والحصون للدفاع عن حدود الدولة لكن المصادر لم توضح بالتفصيل مقدار الأموال التى صرفت فى الإنفاق على هذين النوعين من العمارة^(٣).

٦ - نفقات الخلفاء فى مجال التسلية والترفيه:

لقد ظهرت فى دار الخلافة وسائل عديدة للتسلية والترفيه فانصرف بعض الخلفاء إليها وأعطوها جزء كبير من وقتهم ومن أموالهم ومن أبرز مجالات التسلية التى أنفق فيها الخلفاء الصلوات والهدايا للندماء والمغنيين الذين يطلب الخليفة حضورهم لمجالسه^(٤).

وقد أسهمت المناديات فى دار الخلافة فى ظهور نهضة الحركة الأدبية والفنية لأنها كانت ملتقى رجال العلم والفن حيث تحولت إلى جزء من الحياة اليومية عند بعض ندماء الخليفة^(٥) ومن أشهر الخلفاء فى مجال الاهتمام

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٤، ٢٦٥؛ ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٤٠٤.

(٢) الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٧٣؛ مجهول: العيون والحدائق، ج ٣،

ص ٢٨١؛ ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٤٠٤.

(٣) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٤١٨.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج ٥، ص ٢٥٨.

(٥) ضيف الله الزهراني: المرجع السابق، ص ٢٦٥.

بوسائل التسلية الأمين ويصفه القلقشندى^(١) بقوله "ولما ولي الخلافة (الأمين) انهمك في اللهو واشتدت عنايته به حتى طلب الملاهي جميع البلاد وضمهم إليه واجرى عليهم الأرزاق.. وعمل خمس حراقات (نوع من السفن) في دجلة واحدة على صورة الأسد وواحدة على صورة الفيل وأخرى على صور العقاب وأخرى على صورة الحية وأخرى على صورة الفرس وأنفق على عملها أموالاً جمة"، بالإضافة إلى إنفاقه على المغنيين فقد منح إسحاق الموصللي في يوم واحد ألف ألف درهم^(٢).

هذا وقد أوردت المصادر نصوصاً كثيرة لما كان ينفقه الخلفاء على فئة المغنيين والملهين من الرواتب المنتظمة والصلوات الكثيرة والمكافآت الجزيلة وقد حفظ لنا الأصفهاني في كتابه الأغاني مجموعات من الأشعار والأصوات الملحنة وأصنافها وتفريعاتها وأخبار المغنيين والملحنين والشعراء وجمع لنا الأخبار التي تروى في مجالس الخلفاء عن دخول المغنيين على الخلفاء ومنح الخلفاء لهم^(٣).

وكان الرشيد يجرى على إسحاق بن إبراهيم الموصللي عشرين ألف درهم شهرياً، كما منح إبراهيم بن المهدي عندما غنى بين يديه ألف ألف درهم^(٤).

ويعد الرشيد من أكثر الخلفاء إنفاقاً على المغنيين ويأتي بعده المأمون وقد خصص ابن طيفور^(٥) الذي ألف جزء كبير من كتاب بغداد عن حياة

(١) مآثر الأنافة: ص ٢٠٥، وكذلك انظر ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ٩، ص ٢٤٤،

ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٦٧٩.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج ٥، ص ٣٧٨، ٣٧٩.

(٣) ضيف الله الزهراني: النفقات وإدارتها، ص ٢٤٧.

(٤) الأصفهاني: المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٢٣، ج ٥، ص ٢٥٨؛ الأزدي: أخبار الدول

المنقطعة، ص ١٣٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٣٨٩.

(٥) كتاب بغداد، ص ١٧٢-١٧٩.

المأمون فصلاً سماه (أخبار المغنين أيام المأمون) وقد ذكر فيه إخبارهم ودخولهم على المأمون ومقدار الصلات التي يمنحها لهم كما أن المعتصم والواثق كان لهم اهتماماً بالغاً بالمغنين فقد أنفقوا الآلاف في هذا المجال.

ويمكن أن نؤكد حقيقة أن الخلافة لم تفد من المغنين في شئ سوى تسليية الخلفاء بل أنهم في كثير من الأوقات قد غلبوا هذا الجانب على جوانب أخرى أكثر أهمية وقد كان الغناء يهدر أوقات الخلفاء والذي كان الأفضل أن يستغلوه لصالح الخلافة وتطويرها ومحاولة الكشف عن أحوال الرعية وحل مشاكلها.

ولتأثر بعض الخلفاء بالغناء فقد اتخذوا أسلوباً للهروب من الواقع المؤلم الذي يحيط بهم خاصة في عهد الفتنة التي حدثت بين الأمين والمأمون فعندما حوصرت بغداد وطُلب الأمين من قبل جنود المأمون كان الأمين يطلب المغنيين والمغنيات^(١).

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٤٧٦، ٤٧٧.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ١- ابن الأثير: (عز الدين على بن محمد بن أبى بكر) (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):
- الكامل فى التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٢- ابن تغري بردي: (جمال الدين أبى المحاسن يوسف) (ت ٧٨٤هـ، ١٤٦٩م):
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٣- ابن الجوزي: (أبى الفرج عبد الرحمن بن على) (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):
- المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر، ومصطفى عبد القادر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٤- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد المغربى) (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٥- ابن خلكان: (أبى العباس شمس الدين أحمد) (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م.
- ٦- ابن الشحنة: (أبى الوليد محب الدين محمد) (ت ٨١٥هـ/١٤١٢م):

- روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد محمد مهنى،
الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

٧- ابن الطقطقى: (محمد بن على بن الطقطقى) (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م):

- الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة الموسوعات،
القاهرة، ١٨٩٩م.

- تاريخ الدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د. ت.

٨- ابن طيفور: (أبى الفضل أحمد بن طاهر) (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م):

- كتاب بغداد، تحقيق السيد عزت العطار الحسينى، الطبعة الثانية،
مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٩٤م.

٩- ابن العبرى: (أبى الفرغ غريغوريوس يونس بن هارون) (ت
٦٨٥هـ / ١٢٧٦م).

- تاريخ مختصر الدول، تحقيق خليل منصور، الطبعة الأولى، دار
المسيرة، ١٩٩٧م.

١٠- ابن العماد: (أبى الفلاح عبد الحى) (ت ٤٨٢هـ - ١٠٨٩م):

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، الطبعة الثانية، دار المسيرة،
بيروت، ١٩٧٩م.

١١- ابن العمرانى: (محمد على) (ت ٥٨٠هـ / ١١٨٤م).

- الأنباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائى، الطبعة الثانية، دار
العلوم، الرياض، ١٩٨٢م.

١٢- ابن كثير: (أبى الفداء إسماعيل) (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م):

- البداية والنهاية، تحقيق عبد الرحمن اللاذقي، ومحمد غازي، الطبعة الثانية، دار المعرفة، ١٩٩٧م.

١٣- ابن الوردي: (زين الدين عمر بن مظفر):

- تاريخ ابن الوردي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

١٤- الأزدى: (جمال الدين أبي الحسن علي ظافر بن الحسين) (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م):

- أخبار الدول المنقطعة، تحقيق محمد مسفر الزهراني، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٩٨٨م.

١٥- الأصفهاني: (أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد):

- الأغاني، تحقيق عيد علي مهنا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

١٦- البلاذري: (أبو الحسن أحمد بن يحيى) (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):

- فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.

١٧- البيهقي: (إبراهيم بن محمد) (ت ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)

- المحاسن والمساوئ، تحقيق محمد سويد، الطبعة الثانية، دار إحياء العلوم، ١٩٩٥م.

١٨- الثعالبي: (أبي منصور عبد الملك بن محمد) (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م):

- آداب الملوك، تحقيق جليل العطية، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

- ١٩- الجاحظ: (أبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب):
- التاج فى أخلاق الملوك، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم بن أبى الأرقم، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٢٠- الجهشياري: (أبو عبد الله محمد بن عبدوس) (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م)
كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق إبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبى، القاهرة، ١٩٨١م.
- ٢١- الخوارزمي: (أبى عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف) (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م):
- مفاتيح العلوم، الطبعة الأولى، مطبعة الشرق، القاهرة، ١٩٢٣م.
- ٢٢- الدينورى: (أبى حنيفة أحمد بن داود) (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م):
- الأخبار الطوال، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة، ١٩٥٩م.
- ٢٣- الذهبى: (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م):
- دول الإسلام، الطبعة الأولى، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٩١٨م.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤط، وكامل النحراط، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٢٤- السيوطى: (جلال الدين) (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م):
- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمود رياض الحلبى، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م.
- ٢٥- الصابئى: (أبى الحسين هلال بن المحسن) (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م):

- رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م.

- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٤م.

٢٦- الطبري: (أبي جعفر محمد بن جرير) (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م):

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة الثالثة، روائع التراث العربي، ١٩٦٦م.

٢٧- القفطي: (جمال الدين أبي الحسن علي بن الفاضل يوسف) (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م):

- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار، بيروت، د. ت.

٢٨- القلقشندی: (أبو العباسي أحمد بن علي) (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م).

- مآثر الإثافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٩- الماوردي: (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري) (ت ٤٥٠هـ / ١٠٤٨م):

- تاريخ اليعقوبي، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

٣٠- اليعقوبي: (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب) (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٥م).

- تاريخ اليعقوبي، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

٣١- مجهول:

- العيون والحدائق في أخبار الحقائق، المثني، بغداد، د. ت.

٣٢- ياقوت : (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي) (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

- معجم البلدان، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.

ثانياً: المراجع العربية والمعرّبة:

١- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

٢- أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.

٣- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة الرابعة عشر، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.

٤- حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف:
- العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥م.

٥- خالد جاسم الجنائني:
- تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م.

٦- سعيد عبد الفتاح عاشور وسعد زغلول عبد الحميد وآخرون:

- دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية، الطبعة الثانية، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦م.

٧- ضيف الله الزهراني:

- النفقات وإدارتها فى الدولة العباسية (١٣٢ - ٣٣٤هـ/ ٧٤٩ - ٩٤٥م)، الطبعة الأولى، مكتبة الطالب الجامعى، مكة، ١٩٨٦م.

٨- عبد العزيز الدوري:

- العصر العباسى الأول، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م.

- مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م.

٩- على حسن الخربوطلى:

- المهدى العباسى، دار مصر للطباعة، القاهرة، د. ت.

١٠- على عبد الرحمن العمرو:

- أثر الفرس السياسى فى العصر العباسى الأولى، الطبعة الأولى، مطابع الدجوى، القاهرة، ١٩٧٩م.

١١- فاروق عمر فوزى:

- الخلافة العباسية، الطبعة الأولى، دار الشرق، الأردن، ١٩٩٨ م.

١٢- محمد أحمد كنعان:

- تاريخ الدولة العباسية وما رافقها من الممالك، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٨ م.

١٣- محمد بك الخضرى:

- محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٥ م.

١٤- يعقوب ليسنر:

- خطط بغداد فى العصور العباسية الأولى، ترجمة صالح أحمد العلى، مطبعة المجمع العلمى العراقى، بغداد، ١٩٨٤ م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- ١- Cahen; Introduction, a l'histoire dumonde Musulman
Melieval, Paris, A. Maisonneuve, 1982.
- ٢- H. Kennedy, the court of the caliphs, London, 2004.
- ٣- M. A. Shaban; A new interpretation, (750-1055 AD/132-
448 AH), Cambridge University Press, 1986.
- ٤- M. Zaman; Religion and Politics under the early
Abbasids, Leiden, Brill, 1997.
- ٥- Nagel; Der Muslime Zurich Artenis, 2.Vols, 1981.